# الواقعية والاخلاق

من الالفاظ الشائعة في البيئة العربية عبارتا الواقعية والمثالية . فطالما أطلقت هاتان اللفظتان خلال النظر الاخلاقي للتمييز بين سلوك وسلوك ، وبين اتجاه واتجاه ، او بين نظرة ونظرة : فهذا رجل واقعي ، وذاك رجل مثالي ، وهذا اتجاهه او نظرته الى الحياة والاشياء واقعية ، وذاك اتجاهه او نظرته اليها مثالية . بل كثيراً ما مزجت المثالية بمعنى الخيالية ، المقصود بها البعد عن معطيات الواقع . فكأنما يفترض هذا التمييز وجود هوة سحيقة تفصل بين الواقعية والمثالية ، بل كأنه يبيح اعتبار وجهين مختلفين من وجوه السلوك الخلقي .

الواقع ان الاخلاق لا تعرف ولا يمكن لها ان تعرف غير المثالية ، لانها في جوهرها تقويم وتكييف للواقع لا تقرير له . ونحن حين نطلب الى انسان ان يكون واقعياً وغير مثالي ، انما نطلب منه التخلي عن السلوك الخلقي للانسياق في تيار الواقع الذي قد يكون فاسداً ، اي ندعوه بصراحة تافهة الى انتهاج سبيل السوء . فالواقعية ما هي الا بدعة مصدرها الحيلة ، وصيغة مزيفة للعمل الخلقي ، ابتكرت لتبرير كل ما هو غير خلقي ، ووأد المثل الانسانية الخالدة في سبيل احراز النجاح الرخيص ، وهي لا تستطيع ان تجد الحياة في غير ذهن سقيم او نفس تخلت عن معناها .

على ان هذه البدعة في النظر الخلقي تجد مسوّغاً لها في حياة العرب الاجتماعية . في هذه الحياة الاجتماعية وحدها تستطيع ان تلمس شأناً كبيراً متفاقماً لما يحتمل وصفه بالواقعية في مجال الاخلاق ، بحيث يكون الضد التام المقابل لمعنى المثالية ، وفيها فقط تنفصل هذه الواقعية عن المثالية ، اذ ترى الواقع بعيداً جداً عن المثال . اما اذا تطلعت الى ما حول نطاق هذه الحياة ، وخرجت الى المجتمعات الغربية مثلا ، فانك تفتقد هذه الواقعية فلا تعثر لها على اثر ، وانما تجد مثالية فقط بالمعنى الصحيح ، او بعبارة اخرى تجد المثالية هي الواقعية ، والواقعية هي المثالية ، فهما هناك صنوان لا يختلفان ولا يفترقان ، بحيث انه لا يبعد عن الواقع الا النفعي الاثر الذي جهل القيم الروحية وتنكر لقيمته كانسان .

وهذا الاختلال في النظرة الخلقية عند العرب ، تحمل وزره اعتباراتهم الاخلاقية التقليدية ، التي تنكرت مع الزمن للقيم الروحية وتجاهلتها ، وقصرت العمل الخلقي على التقيد بالتعاليم والنصوص الزجرية ، وهي في الحقيقة ما لا يقوى على الاستقرار في النفوس . بل ان هذه الاعتبارات ازدادت تفسخاً وتصدعاً حين احتكت بالحضارة الغربية ؛ فتأثرت بها تأثراً معكوساً نتج عن فساد تمثل هذه الحضارة ، وذلك ما ينبغي ان نعتبره مشكلة اساسية في حياة الكيان العربي . .

لقد غزت الحضارة الغربية بلاد العرب بوسائل متعددة ، فبهرت ابصارهم بقشورها العائدة الى بعض العادات والازياء واساليب السياسة الماكرة ونحوها ، وبقليل من عناصرها كالآلة والقومية والحرب والسلاح والصحة والطب والمذاهب السياسية ، ولكنها حجبت عن اعينهم تلك العوامل الاقل بروزاً فيها ، كالاخلاق ، والقيم الانسانية ، وجدارة الفرد ، وشأن المرأة ، والتبعة الاجتماعية والبحث العلمي ، وحرية الفكر ، وغيرها من المثل التي نهضت عليها ، والتي تشكل روحها وعصب حياتها . فالحضارة الغربية تعيش اليوم في الذهن العربي جسماً بغير روح ، وروحها هي الاخلاق المستوحاة من تمثل القيم الروحية كافة ، ودون اي وسيط كالنصوص والقواعد الموضوعة ، أي مع الحرية الانسانية الخالصة .

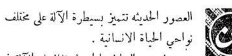
لا بد للعرب ، لكي يأخذوا بأسباب الحياة الحقة ، من انتهاج « اخلاق القيم » هذه . ولئن فات النفس العربية الالمام بهذه الاخلاق حتى اليوم ، فأمامها الحضارة الغربية ، فهي في جوهرها ، لا بقشورها خير مثال عيني لها ، وما عليها الا أن تعيد النظر في هذه الحضارة ، لكي تبلوها وتدرك كوامنها ، وتتمثلها تمثلا سوياً لا يشوبه بهر او اعتباط .

محمد وهبي

# الفن واسطة بين الالة والحياة

بقلم الدكتور علي سعد

☆



ان العصور الحديثة تتميز بسيطرة الآلة على مختلف نواحي الحياة الانسانية .

وغني عن البيان ما احدثه تغلغل الآلة في المجتمع الانساني من انقلابات عميقة في الوسط المادي الذي نعيش فيه ومن تحولات في الحياة الاجتماعية والروحية نفسها ، بخلقه عادات ومفاهيم واذواقاً وقيماً جديدة .

وان حدوث مثل هذه التحولات يقوم في اساس الازمة الحضارية التي يتخبط فيها المجتمع الحديث ، هذه الازمة التي تبدو آثارها بصورة اوضح في المجتمعات المخضرمة كالمجتمع العربي الذي بدأت تتصارع فيه الحياة المضطربة الناشئة عن تقدم الصناعات الآلية الناشئة مع رواسب الحياة القديمة القائمة على الدعة والكسل والاستسلام .

ولكن غلبة المدنية الآلية لم تتم بالسهولة التي يمكن ان نتصور . فان التبديلات التي احدثتها في وسط الانسان وفي نفسه اثارت احيانا كثيرة رد فعل عنيف من قبل المجتمعات التي تناولتها . وان نجاح الآلة قد زاد في وعي الانسان الحديث لاهمية القيم التي لم تكن تدخل في نطاق العقيدة الالية . وان بقاء الايمان بمثل هذه القيم القديمة هو الذي يضفي على مجتمعنا الحديث هذا الطابع من الحيرة والقلق « والتمزق » الذي تبعثه دائماً حالة عدم التكيف مع الوسط الخارجي ، فاننا قد زدنا ، اضعافاً مضاعفة ، طاقتنا على الانتاج دون ان نزيد مقدرتنا على اتخاذ موقف واع من هذا الانتاج ، وعلى المتعة الحقيقية بنتائجه والاستجابة لنداءات التشويق المنبعثة منه .

فالراديو والتلفون والصحف والاعلانات والسينما تستوعب من انتباهنا وقتاً يجعل كل آمالنا في الراحة والتأمل من الامكانيات البعيدة . وان هذه الجواذب الخارجية المتتالية من التعدد والالحاح والتفاهة بحيث اصبح عالمنا الحقيقي معرضاً يوماً فيوماً للتقلص والتحوير .

وحينما نريد الانتقال من مجال التحسينات التكنية الى نطاق التقدم الاجتماعي نجد ان الالة كانت ، احيانا كثيرة ، عاملا مساعداً لاستغلال الانسان .

فهي بدلا ان تكون اداة لاخصاب الحياة اصبحت وسيلة لفرض ديكتاتورية المال من قبل الطبقة التي امتلكت الالة واشرفت على تنظيم عملها . وتحت الادارة الرأسمالية ، لم تعد غاية النظام الالي توفير العمل وادخار الجهد الانساني ، وانما الاستغناء عن كل الاعمال التي لا تدر ربحاً لاصحاب المصنع واستغلال المعونة التي تقدمها الالة للفاعلية والذكاء الانسانيين ، استغلالا لا رحمة فيه لمصلحة اصحاب الرأسمال .

ان جميع هذه المظاهر القاتمة التي رافقت التقدم الالي قد سببت مقاومة ضارية من قبل المؤسسات والعادات والغرائز التي لم تعرف كيف تتكيف مع حياة التنظيم الآلي .

وهذه المقاومة قد اتخذت اشكالا متعددة .

وان ابسط هذه الاشكال كان يستهدف تدمير الآلة نفسها او قتل مخترعيها كما حدث في بداية التقدم الآلي في الغرب

ولكن الشكل الاكثر شيوعاً كان ممثلا بالحركة الرومنطيقية التي كانت ترتكز في محاربتها للتوسع الآلي على الاسس الاجتماعية والعادات الفكرية القديمة كالايمان بان الشرف اثمن من المال

وان بوسع العطف ان يكون محركا انسانياً اقوى من الرغبة في الربح وان الانسان الكلي جدير بان يستبقي في وجه طغيان «الانسان الاقتصادي» الذي بدأ يطل في المجتمع الحديث بفضل الرقي التكني .

والرومنطيقية ، في مختلف مظاهرها من جوته الى نيتشه ومن روسو الى شاتوبريان ، ومن برناردين دي سان بيير الى جوجان وروبير ستفنسون كانت انتفاضة الذاتية الانسانية امام غزو المدنية الآلية ، ومحاولة لوضع الحياة الانسانية في وسط العالم الجديد ، بدل ان تكون الآلة في هذا الوسط .

ولكن الحركة الرومنطيقية لم تستطعْ وقف التطور الآلي لانها لم تعرف كيف تميز ، في هذا التطور ، بين القوى المعادية للحياة والقوى التي تخدمها . لقد كانت هذه الحركة منطوية على نفسها وقائمة على العاطفة . لقد كانت رجعية .

ولكن يجب الاعتراف بأنه رغم فشل الحركة الرومنطيقية في هذه الناحية ، لا يمكن فهم المشاكل الخاصة بمدنيتنا الحديثة اذا لم ندرك الى اي حد يجب ادخال العناصر الايجابية في الموقف الرومنطيقي في « سانتيز » اجتماعي جديد، فالرومنطيقية كحركة للهرب من الآلة قد ماتت . ولكن بعض القوى والافكار التي صدرت عنها تشكل عناصر ضرورية في بناء الحضارة الجديدة . والذي يهم اليوم هو ابراز هذه الافكار والقوى في المجتمع بصورة مباشرة عوضاً عن متابعتها بشكلها القديم المبني على عودة لا واعية نحو ماض لا سبيل للرجوع اليه الا في الخيال .

وان مقاومة التوسع الآلي قد ذهبت في اتجاهين اساسيين :

اولا : عبادة الطبيعة والسعي وراء الحياة الريفية وبساطة العيش في الادغال والجزر النائية .

ثانياً : عبادة الاشياء البدائية المتمثلة باحياء الاعتبار للقضايا الجنسية والاستمتاع بعادات وازياء وفنون الشعوب البدائية وخاصة رقص الشعوب الزنجية وغنائها .

ولكن يجب الملاحظة ان هذين التيارين اللذين بلغا اوجهما في عصرنا الحديث ليسا الا وجهين من وجوه المحاولات للهرب من عبودية الحياة الآلية التي تجاهلت العناصر الحياتية في الوجود الانساني .

وقد استطاعت الطبقات الموسرة ان تلطف من ضغط العيش المرهق في المجتمع الآلي باللجوء الى منزل خاص في مكان منعزل يقوم بعيداً عن مكان العمل ويحميها من الظروف المتعبة التي يفرضها العمل في الجو الصناعي . وان الاطار من التحف الاثرية ومن وسائل الرفاهية الحديثة التي يحيط بها الاغنياء المترفون انفسهم حوّل هذه المنازل الى صوامع هادئة يستطيع اصحابها ان يجدوا بين جدرانها حالات الاستقرار والتكيف مع الوسط والتوازن النفسي المريح .

ولكن هذه الوسائل ليست لسوء الحظ ، في متناول كل الناس . وعندما ظهر ان طرق الهرب الحقيقي من تعسف الآلة اصبحت لا تجدي ، تفتقت المخيلة الانسانية عن وسائل تدخل في نطاق الفن اذ هي ترتكز على الكلمة او الصورة او النغمة . ولكن في البدء كانت هذه الوسائل الفنية الجديدة تحمل طابع المدنية الميكانيكية الجماعية . وليس من يجهل ما اتاحته آلات الطباعة والسينما والفونوغراف والفوتوغراف من سهولة في انتاج الاثار الادبية والفنية . وقد ادى ذلك الى اغراق السوق بنتاج فني وادبي من كل مستوى ومن كل لون ، والى خلق عالم وهمي في متناول الجميع ، ويستطيع كل انسان يحس بالحرمان او بعدم الرضى الاعتزال داخل حدوده .

وهكذا اصبح بوسع الانسان العادي الذي لا تساعده امكانياته على عمل الاسفار البعيدة او اقتناء منزل حديث في الارياف ، ان يعيش في الكتب مغامرات غيره فيتبع الرحالين الى الاصقاع النائية او ينحدر مع رجال العصابات الى عالم الجريمة والشر ، او ينتقل على صفحات الروايات الغرامية ، واجنحة الاغاني المثيرة الى عالم جميل من الاوهام ، اصبح منذ القرن التاسع عشر ، مشاعاً للجميع .

صحيح ان اكثر هذه الانواع من الحلم اليومي كانت موجودة في الماضي ولكنها منذ ظهور الآلة ، اصبحت تشكل جزءاً من اداة جماعية هائلة المقاييس تعمل لمساعدة الانسان الحديث على الهرب من واقعه . وان هذا الادب الشعبي الهروبي قد اصبح من الاتساع والتحكم باذهان الجماهير بحيث اصبح الكثيرون من علماء النفس المعاصرين يلقون على الادب بمجموعه تبعة الامراض النفسية التي تعتور مجتمعنا الحديث ويعتبرونه المسؤول عن اندفاع هذا المجتمع في اللامبالاة للنجاة من حقائق المعيشة اليومية القاسية .

ولكن هؤلاء المتنكرين للادب الحديث يتناسون انه لا يزال هناك انتاج ادبي وفني من النوع الرفيع يتميز بكون

مجهوداً اقصى لمواجهة الحقيقة الواقعية ولاحتوائها باكثر ما يمكن من الدقة والفهم والعطف ، مجهوداً تبدو حياة العمل ، بالنسبة اليه ، نوعاً من الانكماش والعزلة .

ويهمنا ان نشير الى ان الاتجاه عند الجماهير في عصرنا الآلي الحديث نحو الانطواء على الخيال ، قد ازداد رسوخاً بعد ظهور السينما في اوائل هذا القرن ، اي في المرحلة التي بدأ فيها ثقل الالة يبدو مفرطاً في الارهاق . وان الاحلام اليومية بالثروة والترف والمغامرة والحركة العفوية ، وهذه الرؤى المثيرة التي لا تلبث ان تلد في مخيلات الناس حتى تعرض بواسطة آلة السينما ، قد ساعدت على جعل النظام الالي مستساغاً من قبل مجموعات السكان الواسعة في مدن العالم وحولها .

ولكن هذه الاحلام لم تعد ذاتية تنبع من نفس الذي يستمتع بها . وهي لم تعد عفوية ولا حرة في مولدها . فهي قد دخلت في حوزة الرأسمال واصبحت عنصراً هاماً في صناعة الالهاء والتسلية التي تهافت عليها رجال الرأسمال لما تدره من ارباح طائلة المضاربة على استمرار الكآبة والسأم في المجتمع الالي الحديث . فالفرد اصبح يلجأ الى القراءة عندما يشتد به الغم حتى ليمنعه عن التأمل ؛ والى السينما حينما يمنعه التعب عن القراءة والى سماع الراديو حين لا يسعه الذهاب الى السينما . وفي كل هذه الحالات ، يقصد المرء ان يتهرب من الحركة والجهد . لقد اصبحت خيالات العشاق والابطال والثروة تملأ حياة النفوس الذاوية التي افقرها الجو الالي وتحمل الى البيوت والاكواخ عبق الوجود الخارق واللاواقعي . وكلما اصبحت الالة انشط واقرب الى العمل الانساني مقلدة وظائف العين والاذن واليد ، اصبح الناس الذين يستعملونها كوسيلة للهرب اقرب الى السلبية والسلوك الميكانيكي . فهم ، وقد فقدوا ثقتهم بمقدرة صوتهم على اداء النغم يلجأون الى الفونوغراف او الراديو ، حتى في تنقلاتهم . وهم ، في خوفهم من ان يبقوا وحيدين مع افكارهم ، وفي رعبهم من مواجهة فراغ احاسيسهم وعقولهم ، يديرون زر الراديو فيأكلون ويعملون وينامون على صوت او انغام هذا الرفيق الدائم الذي يعطيهم الاثارة الاتية من العالم الخارجي في صورة معزوفة او حديث للدعاوة السياسية او التجارية . لقد قضى هذا الوسط الميكانيكي على كل استقلال للفرد وكل مبادرة داخلية لديه . وان كل الوسائل التي يلجأ اليها لاحداث التوازن مع اثر هذا الوسط او للتلطيف منه قد استمدها من الالة . وهكذا يكون الانسان قد هرب من الالة ليقع في براثن الالة . لقد اصبحت وسائل الحماية من الوسط من طبيعة الوسط نفسه . فالسينما تمجد القوة والغرائز الدموية عند المجرمين والانباء السينمائية تهيء النفوس للحرب بعرضها الاسبوعي لاخر التحسينات في مختلف انواع الاسلحة والاجهزة الحربية . وكل هذه الاختراعات تزيد في التوتر النفسي لدى الجماهير وفي استعدادها لقبول الكوارث . وعندما يشاهد الانسان على الشاشة آلاف الحوادث من الموت المفاجيء ويشارك نفسياً في ظروفها يصبح في حالة تقبل للمشاركة في اعمال اختطاف او سلب او اغتيال او تظاهر دام أو حرب في الحياة الحقيقية . وعندما تبدأ انواع الاثارة الخيالية التي تقدمها الشاشة تفقد مفعولها ، يصبح العطش الى الدم الحقيقي ضرورة ملحة .

قد يحمل المراقب على الا يرى في كل هذه المحاولات التي قام بها الانسان الحديث لتدمير الالة او للحد من سلطانها او للهرب من نظامها ، الا مظاهر لما يمكن ان يسمى « التأخير الثقافي » . ومن الجائز ان يعتبر هذا العجز عن « التكيف » نتيجة لعدم قدرة الفن والاخلاقية والدين عن التطور بالسرعة نفسها وفي الاتجاه نفسه الذين تطورت بها الالة .

ولكن هذا التعليل الذي لجأ اليه الكثيرون من المفكرين الذين عنوا ببحث هذا التفاوت بين الرقي التكني والرقي المعنوي لا يتحرك الا في سطح القضية . فمن جهة ، ان التغير في اتجاه معاكس لاتجاه الالة قد يؤدي الى تأمين التكيف مثلما يؤدي اليه التغير في الاتجاه نفسه . ومن جهة اخرى ، فان هذا التعليل يعتبر الالة بناء مستقلا ويجعل اتجاه التغير الالي ومداه فرضاً يتحتم على كل المظاهر الاخرى للحياة الانسانية ان تخضع له . ولكن الواقع يدلنا على ان التفاعلات بين الكائنات والمحيط الذي تعيش فيه تجري في اتجاهين معاكسين حتى ليصح القول ان تضخم التسلح للحرب ضرب من التأخير بالنسبة الى عقيدة كونفوشيوس بقدر ما يصح القول المعاكس .

وقد اخطأ رجال الاقتصاد وعلم الاجتماع عندما اعتبروا الالة غاية في ذاتها ونظروا اليها نظرهم الى شيء غير انعكاس مظهر خاص من الشخصية الانسانية .

فكل الفنون وكل مؤسسات الانسان لا تستمد اهميتها الا من الطبيعة وتحافظ على منطقها . وهذا الاعتبار يصح على التكنية بقدر ما يصح على فنون التصوير والنحت والشعر .

# الليل في كل مكان

الى ماريت هـ، ... اهدي قصتها

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

***

**نيس في ٢٣ ايلول ...**

سأغادر غداً في الصباح الباكر نيس . رفع بواب فندق البرت الاول حاجبيه مستغرباً حين سألته اية طريق مسلوكة اكثر بين الطرق المتجهة شمالا ، وحين انبأته عن عزمي بالسفر بالاوتوستوب . لم يصدق ان نزيلة في فندقه تسافر بهذه الوسيلة التي يسلكها الطـلاب والمفلسون . ومع ذلك فقد اعلمني ان الطريق المسماة « نابليون » هي بغيتي .

سأتودع من الشاطيء اللازوردي بجولة في منتزه الانكليز، الطريق المحاذية للبحر الابيض ، وأذكر ليالينا في باريس . اية فكرة نيرة ساقتـك الى ان تسألني ، انا المجهولة منك ، عن طلاء اظافري الازرق فيكون ذلك بدء تعارفنا ؟ « م » .

**ستراسبورغ في ٢٥ ايلول . . .**

هذه بطاقة اكتبها اليك قبل ان اغادر فرنسا . مونيخ مني على مرمى حجر ، اعني على سفر يومين بالاوتوستوب . ليتني استطيع السفر بالطريقة نفسهـا الى جوهانسبرغ في



---

وان مجرد ظهور حركات المقاومة وبعث الافكار البالية عند قيام الاعمال التكنية الكبرى ( والذي راينا مظهراً منه بعد تفجير القوة الذرية ) يحملنا على الشك بكفاية وفاعلية اية صيغة للعيش ترتكز على الالة وحدها وتشاد وفقاً لاحكام الظروف الخارجية فحسب .

فان الصفة الفريدة التي تميز الانسان هي ان بامكانه ان يخلق مثله وغاياته بنفسه دون ان يترك للاشياء الخارجية سبيل فرضها عليه بصورة مباشرة .

انه يستكمل طبيعته بفضل تعاونه مع محيطه ، انه يستطيع ان يخلق بمملكة ثالثة بمملكة الفنون ؛ عن طريق التوفيق بين طبيعته ومحيطه وتنسيقها حتى ليأخذ فيها معناهما الحقيقي .

فان المسألة الحقيقية المطروحة على بساط البحث امامنا هي معرفة ما اذا كانت الالة تعين الحياة وتغنيها . اذ ان الخطر من سيطرة الالة لا يكمن في كونها فرضت النظام القاسي والطابع الاوتوماتيكي في العمل والرتابة في حركات الانتاج . انما الخطر يكمن في التضييق على الحياة الذي يرافق الاذعان السلبي لهذه الظواهر .

ان علينا ان نتساءل في كل برهة : ما هو موقف الحياة من تقدم الآلة ؟ والى اي حد ، تستطيع هذه الالة التي نخلقها ان تساعد طبيعة الحياة الانسانية ؟

وكما يقول باتريك جيدز :

« ان كل شكل من اشكال الحياة يحمل ليس فقط طابع التكيف مع المحيط ، ولكن ايضاً طابع التمرد عليه . فهو في الوقت نفسه ، مخلوق وخلاق ، ضحية القدر وسيد مصيره» .

وهذا التمرد ، عند الانسان يتجلى باكمله في الفن ، حيث التلاقي بين الحلم والواقع ، بين الخيـال والظروف التي تحد ، وبين الغاية والوسيلة ، في الاندفاع الديناميكي للفعل المعبر ، وفي الشكل النهائي اللاثر .

علي سعد

جنوب افريقيا . في مونيخ صغيراي فريتز وهانس ، ولولاهما ولولا اختي ايلا لكانت الحياة كلها رحلة ممتعة بالنسبة الي .

ترقب مني رسالة مطولة من مونيخ . «م»

### مونيخ في ٦ تشرين الاول . . .

**صديقي العزيز**

هل تذكر حين تركتنا «ليلو» في شارع كلود برنار في باريس وذهبت الى مونبارناس مسرعة قائلة انها على موعد ؟ لقد كان موعدها مع الذكريات. فقد اصيبت «ليلو» في محطة مونبارناس في مثل ذلك اليوم قبل ثمانية اعوام بشظية قنبلة وضعتها قوات المقاومة تحت قطار كان ينقل جنودنا الى احدى نقاط الجبهة . لقد خسرنا الحرب بعد ذلك ، وطردنا من باريس بعد ما كنا سادتها اربعة اعوام متتالية ، واصبحت ليلو بلجيكية بزواجها من رجل اعمال بلجيكي فسقطت عنها جنسيتها الالمانية ، ومع ذلك فقد ظلت تحن الى زيارة المكان الذي اوشكت ان تفارق فيه الحياة ذات مساء . حين تمر الآلام الى غيابة الماضي تزول لواذعها من النفوس وتخلف وراءها الحنين . اما الآلام التي نتوقعها مستقبلا فانها تظل تلذع نفوسنا بميسم الخوف . وانا الآن ، بعد ان قضيت في باريس وفي الريفييرا وعلى الطريق بينهما اياماً ممتعة ثم عدت الى مونيخ والى صغيري والى حانوت عملي الأنيق ، احس بذلك الميسم يلمس نفسي فارتجف فرقاً .

وجدت شقيقتي المسكينة قد صنعت المعجزات في غيابي . احسب اني حدثتك عنها في باريس وقلت لك ان غارات الحرب قد حطمت اعصابها فأصبحت تنتابها نوبات من السوداء ولا تفارقها حتى تهد نفسها وجسدها . غير ان العمل هو ترياقها الشافي . وقد افادت ايلا كثيراً من غيابي ، اذ كثرت عليها الواجبات فقامت بها خير قيام . لقد عجبت انت مني حين قلت لك اني تركت عملي الصحفي بعد موت زوجي وافتتحت صالوناً للحلاقة . يبدو انك تقدس القلم اكثر مما يستحق او انك تمتهن المقص اكثر مما يجب ! . . . تعال الى مونيخ لتقص لك اختي ايلا شعرك ولتؤمن معي ان عطور شانيل قد تكون اقرب الى آلهة الفن من روائح حبر المطابع . ان ايلا قد وسعت صالوننا فأصبحنا نستقبل فيه الرجال بعد ما كنا نتولى تصفيف شعر السيدات فحسب . وهذا تجديد في مونيخ ، فالنساء اللواتي يتولين تزيين الرجال في عاصمة بافاريا قلة ، ونحن اليوم في طليعتهن .

قلت لك في باريس — ما اكثر ما قلت لك هناك ! — اني معتزمة في الربيع القادم السفر الى جوهانسبرغ لاعمل فيها صحافية ، او حلاقة ، لا فرق ! ولكني لم اقل لك لم انا معتزمة على ان القي همي الى هذا المكان البعيد في افريقيا الجنوبية . لم يكن ذلك لائقاً بجلساتنا في المقهى الصغير في «كيه فولتير» على شاطىء السين . كانت امسياتنا هناك جميلة في شاعريتها وفي بعدها عن ضجة الحي اللاتيني الذي كنا نلقيه وراءظهورنا . كانت باريس تعرض علينا مجدها الغابر في ابراج اللوفر ونجدها الحاضر في ازواج الشباب الغارقين في نعيم اللهو والملذات . وكنت انت ، انت ، الفتى الشرقي الذي قدم من بلاد تفيض باللبن والعسل تلتهمني بنظرات عينيك السوداوين اللتين لا يملك احد مثلها هنا . وكنت انا ، انا المرأة الجرمانية ذات الشعر الاحمر والعينين الزرقاوين افكر بك وبالف ليلة وليلة وبشمس الصحراء المشرقة على رمالها الذهبية . فهل كنت استطيع حينذاك ان اكلمك عن الحرب والدمار وخوف الموت ؟ ولكني اليوم لست في باريس . اني في مونيخ . . . لو رأيت مونيخ يا صديقي لعجبت كيف يتسنى للناس ان يتحدثوا عن الجمال والحب بل وعن الحياة نفسها في ظلال الموت. ان صالوننا نظيف وانيق ، انيق جداً ، ولكن العمارة التي يقوم الصالون في طابقها الارضي مثل كل عمارة في مونيخ مهدمة مهشمة ، هدمتها وهشمتها الحرب . واختي ايلا رقيقة جميلة ، جميلة جداً ، ولكن اعصابها محطمة ، حطمتها الحرب . وانا حية مرحة كما رأيتني على كيه فولتير ، ولكن نصف نفسي ميتة بموت زوجي الذي فارق الحياة بعد الحرب بعامين والحرب هي التي قتلته . ليس من حي حولي حياة حقة غير ولدي فريتز وله من العمر تسع سنوات وهانس وله من العمر خمس سنوات . ولذا تراني احاول الفرار بحياتها بعيداً عن الحرب ، بعيداً جداً . . . لا الى السويد ولا الى سويسرا بل الى جوهانسبرغ في جنوب افريقيا . . .

لا ادري ما الذي تقوله عني حين ترى كل رسالتي اليك تتحدث عن الخوف . ولكن نفوسنا هنا مسكونة بالخوف يا عزيزي. هل تطالعكم صحفكم كل صباح بكلمة « الحرب »

باحرف عريضة في صفحاتها الاولى ؟ نحن هنا ، وقد انقضت سبع سنين على الحرب لا زلنا نعيش في كابوسها . فهل تفهمني اذا قلت لك اني اكتب اليك من مونيخ ؟

تقبل ، من مونيخ ، تحيات المخلصة : « ماوليت »

**مونيخ في ٢٨ تشرين الثاني . . .**

**صديقي العزيز :**

اعتذر اليك عن الوصف الذي وصفت به بلادك في رسالتي السابقة . اذن فليس الشرق ارضاً تفيض باللبن والعسل ؟ . الم يرد في التوراة وصفها كذلك ؟ ولكن يظهر اننا لسنا في عصر التوراة .

الشرق لا يفيض باللبن والعسل ، او انه يفيض بهما على قلة من الناس ،وعلى المستثمرين،بينما تخوض دهماؤه في الفقر والمرض وتبحث عن كفايتها من الراتب الغذائي مسلحة بالتظاهرات والثورات والحروب . هكذا تقول انت ، اني اصدقك ، واني اري ان العزة القومية قد تمرغت في هذه الايام في الاوحال . في الماضي لم يكن احد يذكر بلاده الا بالخير زاعماً انها الجنة والمثل الاعلى . اما الان فكل منا يسهب في شرح نقائص بلاده وما يعوز وطنه كي يصبح موطنا يعاش فيه . هذا داء العصر .

بالامس كان من زبائن صالوننا السيد فان دير بورتر الذي قدم من مدينة الكاب بالطائرة . لقد تنازعنا ، انا وايلا ، راسه لا لانه كان كرأس ابولون بلفيدير في الجمال بل لاني علمت انه قادم من جوهانسبرغ منذ قليل وانه عائد اليها بعد قليل . وانا كما تعلم اهيء نفسي للهجرة الى جوهانسبرغ . والسيد فان دير بورتر مصاب مثلي ومثلك ومثل كل الناس بداء العصر ، اعني بالنقمة على الحال في بلاده . ولكنه ليس متشائماً مثل اكثر المصابين بهذا الداء . فهو يرى انه حين تتداعى القيم المعنوية في سائر البلاد ، فانها متجهة في جنوب افريقيا الى الخير والاحداث هناك تدعمها يوما بعد يوم . انه كما ترى يشجعني على الهجرة الى بلاده . . .

كان يجدر بك ان تراني وانا امد جرجر السيد فان دير بورتر براحتي واجري على خديه بانامللي واحاوره بلساني لاستحثه على ان يروي لي كل ما يهمني عن جنوب افريقيا . تستطيع المراة ان تستدرج الحية من غارها ، فكيف اذا كانت هذه المراة صحفية فضولة وحلاقة ثرثارة مثل صديقتك ماوليت ؟ ان السيد فان دير بورتر يرى في الدكتور مالان ، الذي يتولى الان رئاسة الحكومة في اتحاد جنوبي افريقيا ، نبي القومية الافريكانية ورجلها الذي استطاع ان يقف سيل الميوعة الذى كاد ان يجرف افريقيا الجنوبية فيما جرف . منذ قبض الدكتور مالان على زمام الحكم ، هكذا قال السيد فان دير بورتر في حماس ، منذ قبض الدكتور مالان على زمام الحكم تراجعت رؤوس الشر الى اوكارها المظلمة . الملونون في جنوبي افريقيا ، من هنود وخلاسيين وسود ، الذين طمحوا الى ان يكونوا سائقي اوتوبوسات وعمال على الهاتف في المناطق الاوروبية ، بل طمحوا الى الركوب مع الاوروبيين جنباً الى جنب في الاوتوبسات نفسها ، هؤلاء الملونون اجبروا منذ تولى الحكم الدكتور مالان على التراجع الى وراء ، وراء حدودهم التي

يعرفونها . لقد تجرأ بعض الملونين قبل الدكتور مالان على ان يحضروا القداس مع البيض في كنيسة واحدة وفي وقت واحد. اما الان ـ هكذا قال السيد فاندير بورتر ـ فقد لزموا حدهم وتراجعوا الى كنائسهم الخاصة ، وان كانت بعض الكنائس الانكليزية تخون قضية الجنس الابيض وتسمح للملونين بالصلاة فيهـا في اوقات خاصة بهم لا يختلطون اثناءها بالمتدينين الاوربيين .

كل هذا قصه على السيد فان دير بورتر ليرغبني بالهجرة الى جنوب افريقيا . لست بحاجة الى المغريات من اجل ذلك . وقصارى ما اطمع به بيت صغير لي ومستقبل امين لولدي . الا ان السيد فان دير بورتر يتحدث عن المزارع الواسعة في بريتوريا ، والعبيد الخول من البوشمان ، ومناجم الماس في كمبرلي . الا ترى ان هذا كثير على صديقتك التي سافرت من مونيـخ الى نيس ومن هذه الى تلك بالاوتوستوب ؟

انتظر منك رسالة مطولة لا بطاقات مخطوطة على عجل . قد تزورني في مؤسسة التجميل التي ابني منذ الآن ، في خيالي، طوابقها الاربعة في جوهانسبرغ . حينئذ سأعود بك بنفس السيارة المكشوفة الى المحطة لأودعك ، وسأنتظر على رصيفها حتى يغيب بك القطار عن عيني . ولن افعل فعلتك يوم ادرت لي ظهرك قبل ان يغادر الاوتوبوس الرصيف في نيس ... هل تذكر ؟

اطيب التمنيات من « ماوليت »

**مونيـخ في ٨ كانون الاول ...**

**صديقي العزيز**

اكتب اليك هذه الرسالة وما اظن رسالتي التي قبلها وصلتك بعد. كنت امس في ضيافة السيد فاندير بورتر على العشاء والسهرة ولكن لا تذهب بك الظنون مذاهب آثمة فالسيد فاندير بورتر عظيم الكرش له جرجر ثخين ، وهو في السبعين من عمره ، تملأ وجهه اطعات كبيرة من النمش ، ثم انه بعد ذلك بروتستاني متزمت . وهؤلاء المتزمتون لا تخاف المرأة منهم على نفسها ، وقد تخاف على انسانيتها ... اليس الدكتور مالان دكتوراً في اللاهوت ؟ !

لماذا اكتب اليك اليوم ، في الصباح الباكر ، بعد ان قضيت مع السيد فاندير بورتر سهرة هادئة ؟ ولكن اصحيح ان تلك السهرة كانت هادئة ؟ اذن لماذا حرمتني النوم وظللت من اعقابها اتقلب في الفراش الليل كله وانا احس بمخالب من القلق ، بل من الخوف ، تمزق وجداني ؟ !

روى لي امس السيد فاندير بورتر ، على العشاء ، حكاية الصبي الهنـدي ، ابن الغسالة ، الذي كان في السر يلعب مع بنته الصغيرة هيتي . أكاد ، وانا استعيد لهجة السيد فان دير بورتر المتشفية حين روى لي تلك الحكاية ، أكاد اسمع صرخات الصبي المسكين واحس بلذع السياط على جلده النحاسي الرقيق لماذا جلد ذلك الصبي ؟ ان لمضيفي السيد فاندير بورتر طلاقة ديموستينية في شرح وجهة نظره وتمجيد مثله الأعلى . . .

آه يا عزيزي ... اني امرأة حمراء الشعر ، زرقاء العينين ، وردية البشرة ، وكذلك ولداي فريتز وهانس . سنكون في أي موضع نحله في اتحاد جنوبي افريقيا في الذروة من الاعتبار. ولكني لا أطمئن الى ذلك بعد ان علمت من فان دير بورتر ان تسعة ملايين من الافريقيين الوطنيين ابناء افريقيا الصريحين ذوي البشرة الملونة ، سينظرون الينا بشزر ، وسيقلبون فيّ وفي ابني اعينهم الواسعة ببياضها المصفار الذي تتخلله عروق نارية من الدم . قـد تكون نظراتهم كما وصفها فان دير بورتر نظرات كلاب ، ولكني اخشى ان تكون هـذه الكـلاب كلبة لا يدري المرء متى تثب فتغرس انيابها في عنق واحد من ولدي الحبيبين : فريتز ، او هانس ، او كليهما . .

هذا هو الذي اقلقني ليلة امس وساقني الى ان اتحدث اليك بهذه الرسالة في هذه الساعة المبكرة من الصباح . لا استطيع ان احدث بهذا فان دير بورتر ، فانه يلتهب حماساً في تعصبه لما يعتقده . تصور ... انا التي حلمت عاماً كاملاً بحياة رضية في بلاد جد بعيدة عن اوروبا ، هـذه القارة المجنونة التي اظلمت لياليها بقتام البارود وغبار المذاهب المتطاحنة ، انا التي انتقيت لهذه الحياة بلداً لا يتهدده منجل ستالين ولا دولار العم سام ، حيث يستطيع فريتز وهانس ان يعيشا عيشاً حراً في جو لا تسممه غبرة القنابل الذرية ، اجد فجأة ان هناك ليلاً آخر يجثم على البلد الذي ظننته بلد النور الهادىء ، هو ليل الحقد ، الحقد المتعصب الأعمى ... لقد ضننت بصدري فريتز وهانس ان يصبحا هدفاً لسهام البوشمان او الزولو المسمومة ، لذلك فقد انتهيت في هذا الصباح الى ان اقصي من نفسي حلم عام كامل وان اصرف العزم نهائياً عن الهجرة الى جنوب افريقيا ...

اغفر لي اقلاقي عليك صباحك ، او مساءك ، بهذه الكلمات يا صديقي ، واذكر اني باشد الحاجة الى تمنياتك الطيبة لي .

« ماوليت »

مونيخ في ١٥ شباط . . .

**صديقي العزيز**

عندي لك بشرى . كل ما كنت احلم به من عمل وحياة وادعة وجدته في عرض عُرض علي للعمل في اديس ابابا. فرحت بالرحلة الى اديس ابابا انها تتيح لي ان اراك في طريقي . هل تستطيع ان تستقبلني في بيروت او في دمشق في ٢٣ نيسان ؟

اخبرني بسرعة . رتبت اموري على ان ابلغ بيروت بالباخرة فأقضي معك اسبوعاً تطلعني فيه على بلادك ، اذا لم تجد في ذلك حرجا ، ومن بيروت آخذ القطار الى بورسعيد ثم الباخرة الى جيبوتي .

انتظر الجواب منك في الايام القليلة القادمة . مع تحيات من:

« مارليت »

مونيخ في ٩ آذار . . .

**صديقي العزيز**

انا ملزمة بالاعتذار دوماً اليك عن جهلي ، انه جهل اعمى ، جهل اناني ، حق لك ان تلومني حين تعرف اني قلقت الليل كله وانا اتصور سهام الزولو المسمومة ذاهبة الى صدور البيض من البوير ، في حين لا يخطر ببالي خاطر عن المذابح التي وصفتها لي في رسالتك الاخيرة ، وهي مذابح كما يتبين من وصفك لها اكثر وحشية من مظاهر العداء بين السود والبيض في جنوب افريقيا واكثر اجتراء على البشرية ، واكثر تجنياً على العدل الانساني والقيم الروحية العليا .. مذابح فلسطين !..

أكل هذه الثورة علي اطلقتها فكرتي بالسفر من بيروت الى بور سعيد بالقطار ؟ الحق معك . لا انا حسبت ولا شركة السياحة التي استشرتها حسبت ان الاضطرابات التي كنا نقرأ عن وقوعها في الديار المقدسة قد خلفت هذا التطور في جغرافية الشرق الاوسط . ان لنا من مشاكلنا الحاضرة يا عزيزي ما ينسينا مشاكل الامس . وهذا ، اذا كان هذا يرضيك ، عار على انسانيتنا . الآن فحسب ، حين عرفت انه لا يمكنني ان اسافر من بيروت الى بور سعيد بالقطار لان اليهود احتلوا ساحل فلسطين ، الآن فحسب اضطررت الى التفكير في مأساة بلادك وادركت طرفاً منها ...

اليس هذا مضحكا ؟ اني ابحث مثل ديوجين حامل المصباح عن ركن وادع امين في هذه الارض الواسعة فاتعثر دوماً بالاشواك ، بالجور ، بالدموع . لقد احببت دائماً الشمس والدفء ، ولكني خنقت حبي للعيش في افريقيا الشمالية منذ ما رأيت النار تشب كل يوم في بقعة منها .

ولو احببت الشرق الاقصى لرأيت براكين الثورات والحروب ، التي حلت فيه في هذه الايام محل الاوبئة والمجاعات تحجب عني مفاتنه . وهذه اوروبا العتيقة تنخر في جوانبها كل آفات الشيخوخة وسرطاناتها . فماذا جرى لكوكبنا الارضي هذا ؟ . .

هل انا امرأة خوّارة ؟ لست اعتقد هذا ، ولكني احب ولديّ ، وحين اضمها الى صدري كل ليلة قبل ان ينطلقا الى فراشيها بعد امسية اداراً رأسي فيها بشيطنتها ، حين اضمها الى صدري لا املك الا ان اتساءل اتراني مستطيعة الخروج بها من ظلمة الخوف التي عشنا فيها طوال سني الحرب الاخيرة ؟ لعلي لو كنت خوارة لألقيت سلاحي وقررت في مكاني ، ولتجنبت تعليقات شقيقتي ايلا الساخرة كلما رأتني اقلب الطرف في خريطة العالم اذ تقول : عبثاً تبحثين يا مارليت ، ليس في الارض بقعة نيرة ، والظلام سائد ! ولكني لن اتراجع عن عزمي . وسألقاك في بيروت في طريقي الى جيبوتي . فلا تنسني اني لم انس ليالي كيه فولتير ولا رحلتنا الصغيرة على الكوت دازور بين نيس ومانتون .

الى اللقاء ، مع خالص الود . « مارليت »

مونيخ في ٥ ايار . . .

**صديقي العزيز :**

انا راضية بان وصلتك بطاقتي المختصرة في وقتها ، فلم اجشمك عناء السفر الى بيروت - وانتظاري فيها دون جدوى . يشاء القدر ان يزرع العراقيل امام تحقيق امنياتي ، فقد نفضت الان يدي من الخروج من مونيخ . ولم ارد في العجالة التي ارسلتها اليك ان اخبرك ماذا حال بيني وبين القدوم . لقد توفيت اختي ايلا .

منذ منتصف اذار رايت من الضروري ، ومن الانصاف ان ارسل اختي الى دافوس ، في شرق سويسرا ، لتمضي وقتاً في الراحة من العمل وفي التزحلق على الثلج وهورياضتها المفضلة . لقد امضيت انا الصيف متجولة في فرنسا بينما كانت ايلا المسكينة تجد جاهدة في العمل في صالوننا . وكان العمل يفيدها في تغلبها على السوداء التي كانت تنتابها منذ غارات الحرب التي حطمت اعصابها . ولكني اقنعتها ان الافراط مثل التفريط ،

والزمتها بقضاء ثلاثة اسابيع في ثلوج سويسرا . وماخطر ببالي قط ان ترجع اختي الحبيبة الي من تلك الثلوج جثة هامدة ...

طالما حدثتك عن ايلا، كانت جميلة وكانت ذكية وكانت، في غير ساعات السوداء، تفيض مرحاً وتضفي على كل شيء حولها الانس والحبور . وكانت مثلي ، وربما اكثر مني ، تحب صغيري فريتز وهانس حب عبادة بل كانت امهما الصغيرة . الا انها لم تكن تنظر بعين الجد الى محاولاتي المتتابعة في البحث عن مهجر بعيد عن البراكين التي نجلس فوقها في اوربا . كانت تقول لي دوماً : عبثاً تبحثين يا ماروليت فالليل في كل مكان ! ... اظنها على مرحها كانت اكثر تشاؤما مني . فلعل ذلك المرح لم يكن الا الواجهة الخداعة للتشاؤم الراكد في اعماق نفسها، فاذا انتابتها السوداء تكشفت تلك الاعماق عن حقيقتها ، الحقيقة التي كانت تظهر على لسانها دوما حين تقول : عبثا تبحثين ، الليل في كل مكان . . .

ارسلتها الى دافوس . وفي ذات يوم بعد اسبوعين من مفارقتها اياي جاءتني برقية تستدعيني الى سويسرا لان اختي مريضة . ولما بلغت المستشفى وجدت اختي مسجاة في سريرها وقد بدا عليها الاعياء الشديد . وكان اطباؤها حائرين اذ ما كانوا يعلمون باصابتها العصبية التي كانت تنتابها بين الحين والحين فقد جيء بها اليهم بعد ان وجدت تائهة في احد الاكواخ المعدة لايواء المتزحلقين في سفوح الجبال ، وقد قضت ليلتها في ذلك الكوخ وحيدة بين اربعة جدران تحيط بها القمم المكسوة بالثلوج وتعصف الرياح حولها طوال الليل . ولم يكن عليها عرض لاي مرض حين جيء بها الى المستشفى ، ولكن قواها كانت تسير الى الانحطاط ساعة بعد ساعة ، وتتراوح عليها فترات من الهدوء والهياج تزيد حالتها سوءاً شيئاً فشيئاً .

وجدت ايلا حين وصلتها في احدى نوبات الهياج . ولما هدأت النوبة عرفتني فارتسمت على وجهها الشاحب الذي كان لايام قليلة زينة صالون التجميل في تنغستراشه في مونيخ ، ابتسامة حزينة . اما انا فقد قبضت على كفها بكلتا يدي ، ولم املك ان امنع نفسي عن البكاء ... وحاولت ايلا ان تقص علي قصة ليلتها تلك في الكوخ البارد المنعزل على السفح المهجور، ولكن الممرضة منعتها من الاسهاب في الحديث فسكتت مرغمة ، فقلت لها في همس :

– اني افهمك يا حبيبتي ... افهم ما لقيته في ذلك الليل الطويل لوحدك ...

فقالت ، وكأنما كانت مستمرة في احدى مناقشاتها لي على مائدة العشاء في بيتنا الصغير :

– ألم أقل لك يا ماروليت ان الليل هو الليل، وفي كل مكان؟

فهززت رأسي موافقة لها . ودار ببالي وانا ساكتة اني لا اوافقها هذه المرة ارضاء لها بل لان هذه هي الحقيقة. لقد بدأت اومن معها ان الليل في كل مكان، وان لا مفر منه !.. وسألت نفسي الحزينة ترى ما الذي رأته ايلا او توهمته وهي في كوخها تلك الليلة؟ لقد كانت على احدى قمم سويسرا آمنة من الترويع ولكن ذكريات الغارات التي حطمت منذ سنين اعصابها والتي زرعت السوداء في نفسها ، والتي كانت جديرة بان تعود الى ذاكرتها وهي في ملجأ منعزل شبيه بتلك الملاجيء البغيضة ايام الحرب، تلك الذكريات كانت كافية اذا ما ظلت ملحة عليها حتى الصباح لان تقضي على البقية الباقية من اعصابها المنهكة .

وبينما كنت غارقة في حزني وفي تفكيري خيل الي ان وجه ايلا قد اضاء فجأة. ذلك ان نور الصباح كان قد تسلل من النافذة ووقع على محياها الشاحب. وادارت الي وجهها النحيل وقالت لي:

– ماروليت ! الليل في كل مكان ، ولكن الصباح لا بد ان يطلع ... كم اود ان ارى الصباح طالعاً على محياهما ، فريتز وهانس !.

قالت هذا ثم صمتت ، صمتاً ابدياً .

وهكذا اسلمت ايلا ، اختي المسكينة، الروح. **«ماروليت»**

**من مونيخ في ١٨ حزيران ...**

اشكر عاطفتك . وقد فهمت من تزيينك لي البقاء حيث انا انك اردت تهوين امر انكسار عزمي علي . ولكن تراجعي ما كان غير امر موقت ، اما الآن فان تذكرتي ستكون في يدي بعد اسبوع وان كنت لا اباشر الرحلة قبل بدء ايلول ، ذلك ان فصل الامطار في الحبشة يستمر طول تموز وآب . الليل في كل مكان كما قالت ايلا ، ولكني من اجل فريتز وهانس اني لن ابحث عن الفجر حتى اجده طالعاً ، كما تمنت ايلا ايضاً .

هل تنتظرني في بيروت؟ سأكتب اليك بالموعد عن قريب.

**« ماروليت »**

**الرقة – سوريا** **عبد السلام العجيلي**

الاديب : حذفت مراقبة المجلة بعض الاسطر من هذه القصة

# بيان الشعر الحي

**Manifeste de la Poésie Vivante**

Par Georges Linze

**لجورج لينز – خاصة بالاديب**

☆

**هي** ذي الارض . وفي نظرنا ليس هناك من بلاد فالونية ولا من بلاد فلاندية ، ولا من بلاد فرنسية او المانية او ايطالية ، ولا من بلاد روسية .

فليس هناك غير الارض الواحدة ، الارض الدافئة والباردة الارض الحمراء والدكناء والزرقاء ، الارض الصارخة والراقصة.

الارض المزدحمة بأيدي الاطفال الممدودة نحو ايدي الرجال ، ايدينا

وبعيون الفتيان المتلفتة نحو اعين الشعراء

وبالبؤس والشقاء والفرح واللعب

وبكل الاشياء التي يتجلى فيها سحر الانسان

لا شيء غير الارض بحكمتها

حكمتها المعدنية الكبرى

انها ثروتنا ومدننا التي شرعت فيها سواري الكاتدرائيات والراديو .

تميد ، دون رقاد .

لاشيء غير اشواقنا للمجد والظفر والالم والحب ،

لا شيء غير آلاتنا الحية ، الاكثر حياة من الاصابع ...

الحمد لك ، ايتها الموسيقى ، يا موسيقى عالم العمل ، ياجوقة المناجم والصلب والعجلات الطيعة والسرعات المغنية .

الحمد لك ، ايتها العتمات الخالدة التي يلقي الشاعر فيها ببعض الاضواء .

الحمد لك ، ايها الشعر ، لوقوفك في جانب الفقراء والسلام.

لقد آن الأوان لأن نذكر بالاشياء الآتية :

– ان الشعر هو انتفاضة تمرد دائمة .

– ان القصيدة الأولى هي العيش . ان القصيدة الأولى هي أن نعرف اننا نعيش .

– ان الشعر في عجلة . وهو يفعل بواسطة تأكيدات لا مرد لها

– ان الشعر يذهب من تخوم الوجدان الى اعمال الصناعة الانسانية والى اكثرها تواضعاً .

– الشعر ضد التقاليد لأنه يتسامى دائماً الى نظام جديد ، الى يأس وهناء جديدين .

– انه يزيح الستار ببطء ، أمام الانسان ، عن تثنيات عزلته.

– انه يستطيع الجمع بين العصور والسرعات والحواس .

– انه بطبيعته غامض ، فهو لغز . اذ كيف يمكن تفسير الضوء دون الظل الذي يرسم حدوده ، وكيف يتاح تفسير الانسان والعالم دون ازاحة سجف السر ، واحداً اثر واحد .

وبعد ، فقد يحدث أحياناً كثيرة ان الوهج لا يضيء شيئاً البتة.

ولكنني أكاد اسمعكم تقولون باكتئاب :

« نحن بحاجة الى شعر يصاغ للانسان ، وعلى قياس الانسان ، لا الى شيء آخر . فالانسان يهزأ باسراركم المقدسة » .

وهكذا فانكم تخونون الانسان . وانكم تخونون الشعر.

انكم تقتلون الشعر لأنه ليس الانسان الذي تظنون .

انه أبعد من الانسان ، انه نبله ووجهه المحجب .

فويل للذين يقصرون الشعر على قياساتنا اليومية وحدها ، وعلى وظيفة اجتماعية واحدة .

وويل للذين يخلطون بينه وبين الاغنية الشعبية . فالتصدق بالشعر حرام .

واعلموا أنه اذا كانت الانسانية تتقدم ، فلانها مدعوة بنداءات ابنائها الاكثر اختراعاً ، وجرأة ومواهب ،

لا بنداءات الذين لا يشبعون سوى حاجاتها الى الراحة واللذة الصغيرة .

لياج – بلجيكا

جورج لينز

# الليل والمدينة والسل

« ليس لك من مكان بعد اليوم هنا ، فقد آن لك ان تخرج الى ما بين الناس . . . وهكذا خرجت الى العالم . . . »

مكسيم غوركي

☆

لعبد الوهاب البياتي

•

بعلبك لبنان

☆

في ليالي الموت والخانق ، وفي الاعماق
اعماق المدينة
لم تزل كالهرة السوداء
كالأم الحزينة
تلدُ الاحياء
في صمتٍ ، واعماق المدينة
تبصق الموتى على الارصفة الغبر ، السخينة
في ذراع الليل
ليل السل ، كالأم الحزينة
لم تزل تبصق آلاف المساكين ، المدينة
في مقاهيها ، وفي حاراتها السود ، اللعينة
وعلى اشجارها الصفر ، الدميمة
يولد الخوف ، كما تولد في اعماقها السفلى ، الجريمة
ومقاهيها القديمة
واغانيها الأليمة . .
والمساكين وليل السل ، والاخيلة السود ، اللئيمة

***

لم تزل ، كالهرة السوداء
اعماق المدينة
ترضع الاحياء ، من ثدي الامومة

# بعد سنين

✡

مهداة الى شقيقاتي الثلاث

•

للآنسة: ثريا ملحس

✡

هذا الشفق
عندما تغيب الشمس
ألا ترين لونه ؟
لونه أحمر
كلون الحياة
حتى الكون
يزعق عند الفراق
تحمرّ منه الخدود

***

انظر الى الارض
الى الاعشاب
ألا ترى لونها ؟
لونها أخضر
كلون الرجاء
حتى التراب
يبعث الامل
قبل الممات

***

وماذا تقول لنا الطيور
وهدير العيون
كلها تفور
حتى الصخور
تئنّ عند الفرق
رغوة البحر
بيضاء
لونها
ألا تعرفين لونها ؟
لونها كلون النقاء

***

ألا تذكر صراخنا
عويلنا ؟
حتى الطيور

تعلمت منا الشجار
والعيون
تعلمت منا البكاء
جديدان .. جديدان
لا بد من الانفجار
بعد الانفجار
ألا تعلم ؟
ما بعد الانفجار ؟
هدوء .. رضاء

***

دعينا نذكر
ما تقول العائشات
اتركينا من التأملات
هدّتنا الفلسفات
اتذكرين
يوم اللقاء

يوم دارت بنا
الارض والسماء
كل شيء كان ينبي
بالحياة
بازدهار
لماذا عدنا
الى أراضي الانسان
بنات السماء تهلل لنا
وابناء الارض
يسخطوننا

***

سماؤنا أرضنا
ارضنا سماؤنا
نمشي
كأننا طائران
كل لون تراه
من لوني أنا
كل نغم
من أوتاري سما
ألا تذكر
يومنا .. يومنا ؟
يوم كنا
وكنتَ انا

***

يداي وهمان
اليك
لا تصلان
حتى الغيوم
تلاشت
خجلت يداي
أين أنتِ ؟
أين أنتِ

يا مناي ؟
روحان كنّا
آبت اليّ
يداي
دونها
دون مناي

***

وانطلقتُ الى الساحرة :
اكتبي .. اكتبي
ها عنقي
املئيه بالتمائم
والثعبان

***

ها .. هي .. هـا .. هي
شتمتني الاجيال
ها .. هي .. هـا .. هي
سخر بي الفلاسفة
والاديان
. . . . . . . . . . . .
. . . . . . . . . . . .
وماذا تريد يا ابن الانسان؟!
. . . . . . . . . . . .
. . . . . . . . . . . .
قِدري يغلي
عظامي تقعقع
كهفي أفاعٍ
شرابي سموم

***

رجائي أن أعرف
القدرَ
رجائي ان اعرف
القضاء

هل تعرفين من أنا ؟
هل تعرفين ما ابتغي ؟
ثقلي عنقي بالتمائم
والاغلال
خذي علمي .. معرفتي
أعطيني ما ترينه
هل ترين ما كان
ما سيكون ؟

***

ها .. هي .. هـا .. هي
لا اريد العلم
علمي قِدري
لا اريد المعرفة
معرفتي كهفي
ها .. هي .. هـا .. هي
ادخل .. ادخل
ادخل أيها الانسيّ
يا عابد الاوثان

***

يا منى قلبي
وهدى عيني
يا مانح الطير
الجناح
يا ملوّن السماء
بالالوان
سأمضي ...
دون أن أعرف
الغد
دون ان التقي
بها
احويها بين يديّ

***

ابتعد .. ابتعد
. . . . . . . .
مسكين ايها الانسان
هنا .. هناك
في الكهف آثام
وحوش .. وحوش
تغلّبْ عليها
على وحوش الكهوف
إنْ تدخل الكهف
فقدتني

***

صوتها
صوتي
وراء صوتي
أمشي
لن ادخل الكهف
لن ادخل
تلك الساحرة !
هذه التمائم !
لن ادخل الكهف
معرفتي .. معرفتي
تمرّدي .. عظمتي
أين قوّتي ؟
لن ادخل الكهف
تعلقت بيديها
يداها طاهرتان
وعدت الى المنحنى
الى كتابي
الى قلمي
اضمّ أحرفها
واحرفي

**ثريا ملحس**

# اقبال المفكر المجدد

بقلم الدكتور جورج طعمه *

**يلاحظ** من تطور الدراسات الاسلامية في الغرب ان محمد اقبال لفت انظار المستشرقين اليه اثر نشره كتابه باللغة الانكليزية « اعادة بناء الفكر الديني في الاسلام » . وما زالت مكانته تعلو كلما ازداد التعرف اليه ، حتى اصبح كتابه هذا والذي ضمنه خلاصة فلسفته وآرائه في الفكر الاسلامي بين المراجع الاولى في اوساط الغرب الفكرية المسؤولة . واذا نحن تساءلنا ما هي اسباب المكانة التي احتلها اقبال في الجامعات الغربية لوجدنا الجواب على هذا السؤال كامناً في خصائص مذهبه وتفكيره .

ان الرجوع الى تاريخ الفلسفة يظهر وجود قوانين ثابتة للفكر قد لا تقل في ثباتها عن قوانين الطبيعة . وفي طليعة هذه القوانين ما نلاحظه من ان النفس البشرية ، في مجابهتها لمشاكل الكون الاخيرة وفي افصاحها عن معالجتها لهذه المشاكل ، قد تأرجحت ابدا ودائما بين قطبين هما : العقل من جهة والقلب من جهة اخرى ، فكانها تشبه بذلك رقاص الساعة الذي يتارجح بانتظام بين نقطتين ثابتتين . ولو نحن اخذنا دورا معينا من ادوار الفلسفة لوجدنا انه ما نشأ تيار يتطرف في تشديده على العقل الا وعقبه تيار آخر يشدد على اهمية القلب والعكس بالعكس . هكذا مثلا يقابل النزعة العلمية عند ديمقريطس النزعة الصوفية عند فيثاغور . وتعقب فلسفة ارسطو بما فيها من تشديد على العقل ونزعة علمية مادية فلسفة افلاطون بما فيها من تشديد على الروح ونزعة صوفية روحية . والفكر المسيحي تتنازعه صوفية اوغسطين وعقلية توما الاقويني . واما الفكر الاسلامي فمدارس المعتزلة العقلية رافقها وقابلها نشوء الصوفية الاسلامية . وحين بلغت المذاهب العقلية الاسلامية ذروتها في الفارابي وابن سينا وعلم الكلام جاء الامام الغزالي محرر النفس الاسلامية من قيودها العقلية ويبعث الدين حياً من القلب . ثم جاء ابن رشد كرد فعل للغزالي يؤكد الثقة بالعقل واحترامه ومقدرته على التوصل الى الحقيقة .

ويمكن القول ان فلسفة اقبال تقوم على الجمع والتأليف بين هذين التيارين العقلي والصوفي دون المبالغة في ترجيح احدهما على الآخر ، بما جمله في « اعادة بناء الفكر الديني في الاسلام » يقدر تقديراً صادقاً صواب وخطأ كل من التيارين العقلي والصوفي ومركزهما في حياة الفرد .

**يتساءل اقبال** : ما هي صفة الكون الذي نعيش فيه وما هو بناؤه العام ؟ هل هنالك عنصر دائم في تركيب هذا الكون ؟ وما هي علاقتنا به ؟ ما هو المركز الذي نشغله فيه وما هو نوع السلوك الذي يتناسب مع هذا المركز ؟ تلك هي بعض الاسئلة الاساسية المشتركة بين الفلسفة والدين والشعر في اسمى مراتبه . ولكن نوع المعرفة التي تأتي عن طريق الوحي الشعري انما هي شخصية في اساسها فردية في تراكيبها . وهي رمزية مبهمة وغير محدودة . اما الدين في اشكاله الرفيعة فهو يسمو فوق الشعر . وهو ينتقل من الفرد الى المجتمع . والدين اذ يجابه الحقيقة المطلقة النهائيــة يتخطى حدود الفرد ويعده ـ اقل ما يعده به ـ برؤيا الحقيقة مبــاشرة . واذا كان الامر كذلك فهل من الممكن تطبيق الطريقة العقليـة الفلسفية على الدين . ان روح الفلسفة هي روح البحث الحر . وهي تحيط كل سلطـــة ترتفع فوق العقل بالشكوك العقلية . ووظيفتها ان تصل بمعطيات الفكر التي لم تنقل الى جذورها ومخابئها . وهي في سعيها هذا قـد تصل الى الاعتراف الصريح من عجز العقل الخالص في التوصل بذاته الى الحقيقة المطلقة . وهذا قد وقع بالفعل مرارا في تاريخ الفلسفة . اما جوهر الدين من جهة اخرى فهو الايمان . والايمان كالطائر المحلق الذي لا يعرف حدودا لآفاقه ، يغوص على اعماق القلب البشري ، دون مساعدة العقل ، وينتزع منه ثروته الدفينة الغير المرئية . ولكن مع ذلك لا يمكن ان ننكر ابدا ان الايمان هو شيء اكثر من مجرد الشعور ، اذ فيه مضمون فكري . وان وجود فئتين ـ العقليين والصوفيين ـ المتعاديتين في تاريخ الدين يثبت ان الفكرة انما هي عنصر اساسي في الدين . وعلاوة على ذلك فالدين من ناحيته العقائدية المذهبية كما حدده الاستاذ هوايتهد هو « نظام من الحقائق العامة تنتهي الى تحويل الخلق الانساني عندما يؤمن المرء بها باخلاص ويتفهمها بصورة حية .

* محاضرة القيت في الجامعة السورية في ٢٢ ابريل ١٩٥٣ في ذكرى اقبال .

ذاتياً داخلياً اذ يظهر انها اعطته نوعاً من ذهنية النبوة التي تطمح في ان تحول الرؤى الى قوى حيوية دائمة خالقة . ولكن مع ذلك انتهى نيتشه الى فشل مريـــع . ويعود فشله الى تراثه الفكري الذي تحدر اليه من شوبنهاور وداروِن ولانج اذ اعماه تأثير هؤلاء عن المعنى الحقيقي لرؤياه . فهو عوضاً عن ان يبحث عن قاعدة روحية تؤدي الى نمو لذلك العنصر الالهي في الانسان وتفتح امامه افاقاً لا حدود لها في المستقبل انتهى الى ارستقراطية فكرية اشبه بالسجن .

ان الذات التي يبحث عنها تقع وراء الفلسفة ووراء العلم ووراء المعرفة . انها النبتة التي تنمو من التربة الغير المرئية في قلب الانسان . وهكذا فشل عبقري كبير لان رؤياه كانت محدودة بقواه الداخلية فحسب وانتهى الى العقم وعدم الانتاج لانه كان يعوزه التوجيه في حياته الروحية . ومن سخرية القدر ان هذا الرجل الذي بدا لاصدقائه والمعجبين به كأنما اتى من عالم مقفر لم يعش انسان فيه ، كان شاعراً بالفراغ في حياته وواعياً لحاجته الروحية الكبيرة . قال هذا القائد الكبير اني اجابه معضلة جسيمة ، يظهر كأنني ضائع في غابة كبيرة . انني بحاجة الى العون . انني احتاج تلامذة واتباعاً ، انني احتاج معلما ومرشدا . يا لها من عذوبة ان يطيع المرء غيره .

وهكذا فالسبب في فشل نيتشه وبالتالي في فشل الروح العصرية الثائرة المتمردة التي ثورتها غاية في حد ذاتها واضح جلي . ان غاية الذات النهائية ليست فقط في ان ترى الحق بل ان تكون ما تراه ( الحرية ) . وفي جهد الذات لان تكون شيئا ما يكتشف الانسان فرصته الاخيرة لصقل كيانه والتوصل الى ذات تجد بداهة حقيقتها لا في قاعدة ديكارت القائلة « افكر » بل في قاعدة كانت القائلة « استطيع » . وليست غاية الذات في بحثها التحرر من حدود الفردية بل في التوصل الى تحديـــد دقيق لها . ان العمل النهائي ليس فعلا فكرياً فحسب بل هو فعل حي يعمل بالذات الى كيان عميق والى ارادة جازمة تؤكد ان العالم ليس مجرد شيء نراه او نعرفه بواسطة المفاهيم العقلية ولكنه عالم يبنى ويعاد بناؤه بواسطة العمل المستمر . انها فترة مباركة ، ملهمة ولكنها ايضا اصعب فترة تمر بهـــا الذات الانسانية في اختبارها الحي .

تلك هي خطوط اساسية في تفكير اقبال ، ولا اقول انها تمثل مذهبه او كامل تفكيره . فقد تضمن كتابه الذي اشرت اليه بالاضافة الى هذه الخطوط الاساسية نظرات ثاقبة قيمة في حرية الانسان وخلود النفس وروح الثقافة الاسلامية ، ومبدأ الحركة والحياة والتجدد في الاسلام الى جانب امور اخرى كثيرة . وان كان لي امل ابديه في هذه المناسبة فان تعير الجامعة السورية اهتماما لاقبال اسوة بما فعلته جامعات الغرب فتعمد الى ترجمة كتابه « اعادة بناء الفكر الديني في الاسلام » لما فيه من قيمة ذاتية وفائدة قصوى لا بالنسبة للباحثـــين في شؤون الثقافة الاسلامية بصورة عامة ، بـــل لطلاب الفلسفة العربية بصورة خاصة .

دمشق — جورج طعمه

---

عود على بدء

## الفن للفن ام الفن للحياة

بقلم رشاد دارغوث

☆

**استمعت** امس الى احد النقاد يتحدث من محطة الاذاعـة اللبنانية حول « النزعات الجديدة في الادب العربي» فيدعو الى الادب التـــوجيهي ، او بتعبير آخر : الى ادب الانضواء او الالتزام . .

وسمعته يعزو فضل المبادرة في هـــذه الدعوة الى اديب فقدناه يوم وجد نفسه – عنيت المرحوم عمر فاخوري . ففي مجموعة مقالاته « لا هوادة » الصادرة عام ١٩٤٢ عن «دار مجلة الاديب» اشارة الى ذلك ، في معرض حديثه عن عزلة الاديب في برجه العاجي ، وان لها « علاقة ملحوظة وثيقة بنظرية الفن للفــن من النظريات المحدثة في اوربا ، التي تسرب الينا طرف منها ، مـع ما راج عندنا من السلع التي تخلق هي الحاجة اليها اكثر مما تسد حاجة نحسها فعلا» . على حد ما ورد في الكتاب المذكور (ص ٢٦) . استمعت الى هذا والى سائر حديث الناقد الممتع . فاحببت ان اقص عليه ما علمته بدوري من «تاريخ» هذا الموضوع بالذات بروح علمية ، تستهدف الكشف عن الحقيقة ، دون سواهـــا .

في العام ١٩٣٨ اصدرت رواية ، كانت بشهادة المستشرقين الذين اطلعوا عليها الرواية الاولى باللغة العربيـــة اذ عالجت موضوعاً يسد حاجة يتحسسها المجتمع ( كما قال الدكتور

ادهم فيها ) وذلك باسلوب « هو اسمى ما يطمح اليه الاديب » كما قال الدكتور طه حسين ، فاخجل تواضعي !

ولكن بعض النقاد المرتجلين ـ عندنا ـ من حملة المقاييس « المستوردة » ـ والنظريات والآراء والاحكام في الاداب والفنون ـ التي تقول بالفن للفن وحده ، لا لشيء اخر ، حتى ولا لبفهم ـ كما قال عمر يرحمه الله ـ ثاروا ثورة الزرازير . فوجدوا ان معايب تلك الرواية كثيرة .. ومنها انني اكثرت من استعمال علامات الوقف ، وخاصة علامة الاضراب« الثلاث النقط » ... وانني اتيت على ذكر بعض التقاليد والخرافات ـ بتهكم ساخر هادىء حسبوه تكريساً وتمجيداً ـ وان الرواية كلها ، لذلك كله ، قد جاءت مفككة ، لانها لم تتضمن «سيرة» الشيخ .. من الفها الى يائها . مع ان موضوع الرواية هو «خطيئة» الشيخ لا سيرته ، وما ترتب على تلك الخطيئة من خطيئات ، يقترفها امثاله فيشقى بها المجتمع باسره.

واخذوا على روايتي انها لا تعنى بما يعنون هم به من غراميات مبتذلة ، تبدأ بنظرة شهوة ، لتنتهي عند صخرة الانتحار ـ عند الروشة ـ او في مرابع العربدة والفجور في تبذل جنسي هو من اعراض مركبات النقص التي تعشش في عقولهم وقلوبهم .

وجاء نقد الدكتور طه حسين يضع النقاط فوق الحروف ويصفع اولئك الذين يهرفون بما لا يعرفون ، صفعة رنانة . فقال حضرته عن «خطيئة الشيخ والحاج بجبج» معا : «فقد وجدت في قراءتها من الروعة الساذجة ما يوجد في الكتب الممتازة حقاً .. وان اخص ما يعجبني في هذين الكتابين هو سذاجة التصوير ويسره . فانك تلم بالامر ذي الخطر ، يمس اخلاق الافراد او حياة الجماعات ، فتعرضه في صور سهلة موجزة تتعمد الا تتممها والا تتمها ، لانك تريد ان تترك لقارئك حظاً من تعمقها واتمامها . فتشركه في عملك الادبي ، وتشعره بان موقفه منك ايجابي لا سلبي . فهو شريكك فيما ترسم من صورة وشريكك فيما تعرض من راي .. فانت زميل قارئك ورفيقه ، لا استاذه ومعلمه ، وهذا عندي اسمى ما ينبغي ان يطمح اليه «الاديب» .

وقد كان وراء اولئك النقاد الصبيان بعض الادباء الرجال يشجعونهم وييسرون نشر «آرائهم» الحصرمية . فسكت عنهم حتى العام ١٩٤١ ، حيث كتبت كلمة بعنوان « الفن للفن ترف عقلي لسنا بحاجة اليه » نشرتها جريدة المكشوف بتاريخ ٧ ـ ١١ ـ ١٩٤١ . الا انني فوجئت بالصديق صاحب المكشوف ، يقول لي منفعلا : «لقد عطلوا العدد ، وصادروه ، في المفوضية العليا .. بسبب ما ورد في مقالك ! فاسرع والحق حالك ، فانهم قد يؤذونك ! »

ولما كنت لم اقترف ذنباً استأهل عليه الاذى ، فلم اهتم . ولكنني حرصت على الاحتفاظ بنسخة من المقال الذي سبب تعطيل عدد المجلة . بل حرصت على الحصول على النسخة التي تحمل العلامة المخيفة الحمراء .. التي تقضي بالتعطيل .

ودخلت المفوضيه العليا ـ للمرة الاولى ـ وهي سراية الحكومة اليوم . فقيل لي ان ادارة المطبوعات تقوم في بناية اخرى ، على بضعة امتار الى الغرب ـ وهناك تسلمني الاستاذ ادمون وهبه ، الذي احالني الى الاستاذ عمر فاخوري . وكان يعمل في ذلك الحين ، مع نفر من الادباء والشعراء ، مستشاراً لقلم الدعاية والنشر لدى حكومة فرنسا الحرة .

وكان سلام ، وكان كلام .. افهمت به الاستاذ فاخوري انني آت لاستفسر وحسب .. وسالته :

ـ هل قرات انت بنفسك المقال الذي .. حظرت نشره ؟

فاجاب بالحرف الواحد : ـ لا ، ولكنهم ـ واشار الى من معه ، في المكتب ـ واذكر منهم الشاعر الياس ابو شبكة ـ وسواه ـ قالوا لي انك بهذه الجملة تعني فلانا ، وبتلك تغمز من قناة علان .. فقلت لهم امنعوا نشره اذن ! هذا كل ما كان !

واؤكد لك يا عزيزي ان ما في نفسي من اطمئنان اذ ذاك قد تضاءل ـ على الرغم من انني ما تعودت ان اجبن امام احد او حيال امر ـ وقلت : ـ ارجوك يا استاذ عمر .. اقرأه انت بنفسك لترى ان ما قيل لك غير صحيح .. وانني كتبت هذا المقال بباعث من الروح العلمية ـ الادبية المتجردة ، لا بحافز من الحقد او الحسد .. كما يفعلون !

وقبل الصديق عمر الاقتراح ، بل اقترح ان يقرأ المقال على الفور ، ريثما اكون قد انتهيت من احتساء القهوة التي اوصى عليها لي ـ برغم زحمة المكان ، وتزاحم الموظفين ، والاعمال .

وبدهي ان ينتهي عمر ـ المطالع العتيق العريق في صناعة القلم والكتاب ـ قبل ان انتهي من فنجان القهوة الضخم ! وقد راعني ـ بل قل ملأ نفسي اعجابا واكباراً ـ انه وقف على الاثر خلف مكتبه البسيط وقال لي بتواضع محبب ، وعطف اخوي :

اني اعتذر اليك يا اخي رشاد ! اعتذر ، لا لانني منعت نشر هذا المقال القيم ـ فانا مستعد ان انشره في نشرة المفوضية

اذا شئت ـ بل كي لا تتهمني بالسخف !

وشددت على يد العملاق المنتصب امامي ، وقد استطال في نظري ، وقلت بدوري : ـ اشكرك على كل حال ! ويكفيني ما تقول ترضية ! ولكنني ارجو اذا شئت ان تسمح لي بان احتفظ بهذه النسخة « المعلمة بالاحمر » وحينئذ ازيدك شكراً ! فهل تسمح بها للتاريخ والذكرى .

فقال وهو يناولني تلك النسخة ؟: من كل بد! تكرم بالخي!

اما المقال فانه مطبوع كمقدمة لكتابي « الحاج بجبج »وفيه شجب لخرافة « الفن للفن » هذا الترف الذي لسنا بحاجة اليه ، والذي حمل المجتمع في الغرب ـ الى شفير الهاوية ! وفي نهايته دعوت الى الادب التوجيهي قائلا: «اننا في وسط نشعر بالحاجة فيه الى ادب يتسم بالطابع الشخصي ، ويؤدي الرسالة المفروضة على اربابه ، من توجيه خلقي واجتماعي وقومي ... فاذابلغنا حد ما صارت اليه الامم التي نحمل انفسنا اليوم على تقليدها ، جاز لنا اعتناق مذاهبها المترفة في الادب ، وامكننا السير على سننها المثالية ، او كان سيرنا اذ ذاك طبيعياً ، وعاد نتاجنا طبيعياً لا تكلف فيه » .

وكان هذا قبل ان يذيع المرحوم عمر مقالاته المنشورة في لا هوادة ـ باكثر من سنتين !

وازيد القارىء والناقد الصديق معرفة بالوقائع ففي العام ١٩٢٨-١٩٢٩ دعيت الى الخطابة في «الكلية العزيزية» ـ التي اسسها صاحبها الاستاذ محمد عزيز مومنة ، بعد ان ترك ادارة مدارس المقاصد الخيرية الاسلامية ببيروت. فحملت على الادب الذي لا رسالة يؤديها ، في خطابي الذي استهللته بالقول: نحن في الشرق ناقص تهذيبنا فاسدة تربيتنا .. لذلك كنا في المستوى الذي نحن فيه...وكان شعراؤنا وادباؤنا كشعراء الجاهلية والعصور التي تلت ، يتلهون بالالفاظ ... وباشعار المناسبات . ولو انهم تركوا لنا فكرة تحملنا على اختراع دبوس ، مثلا ، لكان ذلك افيد لنا من جميع التراث اللفظي الذي خلفوه لنا ... في فوضى لا مثيل لها».

وكان من الخطباء الشاعر امين نخله فآثر الرد عليّ ،انتصاراً للشعر وقال ما خلاصته : ان بيتاً واحداً من الشعر هو اقوى من جميع اساطيل بريطانيا العظمى !

ولا اكتمك ان العرق البارد قد تصبب حينئذ من جميع اطرافي ـ لا لأن «الامين» قد اقنع الناشيء الذي كنته ، بما ارسله شعراً « غير موزون » ـ بل لان الناس صفقوا له كما يصفقون اليوم لكل خطيب عاطفي !

وقد شاء ربك ان لا تنفرط هذه السوق العكاظية ـ المنعقدة في البسطة منذ ربع قرن ـ دون ان ينتصر للحق واحد من الخطباء «الكبار »...فقام المرحوم الشيخ ابراهيم المنذر ـ وكان من خطباء الحفلة ايضاً ـ واستهل خطابه ـ وكان مسك الختام ـ بالقول : «لقد صدق الاستاذ رشاد اذ قال نحن فاسد تهذيبنا وناقصة تربيتنا .. وما علينا اذا شئنا ان نصير امة صالحة للحياة الا ان نسد ذلك النقص ونصلح ذلك الفساد » ...

وقد صفقت للشيخ وحدي ، في بادىء الامر ، ثم تابعني بعض الحضور ، فما تجاوز عددهم عدد العقلاء في كل اجتماع يعقد للتلاعب بعواطف الجماهير !

ثم نشرت في مجلة الاقلام ـ الصادرة في ذلك الحين ـ هذا الخطاب ، في سلسلة كلمات قصيرة ، اشترط صاحبها الشاعر حليم دموس على الكتّاب الذين عاونوه ان لا تتجاوز احداها مقدار عمود واحد .

واخيراً ، اذكر لك ياقارئي العزيز ، انني كتبت في آب سنة ١٩٣٩ الكلمة التي اذعتها بعنوان « سراب » وفيها احمل على اولئك الذين يحبون الادب الفاظاً وتعابير ومصطلحات ، يقتبسونها من هنا ، او عواطف ونزعات ومقاييس يسطون عليها من هناك ـ لا رسالة يؤديها صاحبها على «وجهها الصحيح » : فيكون الادب مرآة العصر ، وقصة الحياة ، وتاريخ العقول .

فاذا علمت هذا ، وعلمت انني لا اهدف الى نسبة فضل ما الى نفسي ، بقي علي ان اشكر الناقد الصديق على ما اتاحه لي حديثه الممتع من فرصة ، لن اغتنمها للرد على بعض هؤلاء الادباء والنقاد «الضفادع» الذين صورهم في حديثه ، ينقون دون ان يؤدوا العمل الذي اليه يدعون ، والرسالة التي يحلو لهم ان يعلنوها الفاظاً على ورق ـ لانهم لم يتمثلوا المعرفة التي حصلوا عليها ، ولم يصبح العلم جزءاً من كيانهم . فهم كاغنياء الحروب ، لم تتأصل فيهم تقاليد المترفين ، ولم تتبلور العادات التي يقتبسونها عن الموسرين . فما يعيشون ادبهم او علمهم الذي به يفتخرون ، ولا ينتجون ما يسمو الى مستوى الالقاب التي بها يتبجحون . انهم لا يدرون ولا يدرون انهم لا يدرون . انهم لا يعلمون ما يفعلون ولا يفقهون ما يقولون : لذلك نحن نغفر لهم ، ونسأل الله ان يبرئهم من مركبات النقص التي تأكل نفوسهم الصغيرة .

رشاد دارغوث



# جحيم

✡

يُطلِلْن من اوكارهنَّ يعرضْنَ بعض فجورهنَّه
ويزحن شفَّاف الحرائر عن خبيء صدورهنه
فكأن أفعى النقمة الرعناء في اعماقهنه
توري جحيم شقائهنه وتطلّ من احداقهنه
شوهن روح العُرْي فانتحرت على اهدابهنه
بعض الرؤى المتبرجات بمنتهى اغرائهنه
يا للبغايا البائسات هتكن سر جمالهنه
ونثرن ازهار الصبابة في لقا سمّارهنه
والاثم يرقص للغواية ساخراً بجراحنه
فتكت بهنّ يد الخنى وتشبثت بحطامهنه
فلجأن للشيطان يفتك بالقلوب المرجحنه
حتى اذا هبط المساء وشعشعت حجراتهنه
أطلقن ابليس المجون يرود في احيائهنه
شرّعْن ابواب الهوى وخلقن للحرمان جنَّه
لتهيم غيلان الضراوة تحت استار الدجنه
وتعبّ من خمر المجون وترتمي بجوارهنه
تعوي الغرائز في الدجى جوعاً وتزحف نحوهنه
جثث معطرة ضباع البؤس تعشق لحمهنه
تأوي وتنهش ثم تسرح في رحاب قبورهنه
فكأنني والليل نسمع رجع اصوات الأجنه
تهوي وتدفن حية وتغيب في ظلماتهنه

**مصطفى محمود**

من اسرة الجيل الملهم

كان

# حارس المحطة

بقلم محمود البدوي

ابو منصور حارس محطة منقبـــاد وهي محطة صغيرة على مشارف مدينة اسيوط .. وهي ككل المحطات الصغيرة التي على خط الصعيد كئيبة وفقيرة وموحشة في الليل وفي النهار .

وكانت القطارات السريعة لا تقف في هذه المحطة . ولكن وجود حامية منقباد في هذه المنطقة جعل المصلحة توقف بعض هذه القطارات ، لينزل منهـــا الضباط والجنود الى ثكناتهم القريبة . كما ان المحطة اصبحت مركز تموين لهذه الحامية ، ولهذا تقف فيها قطارات البضاعة وتفرغ حمولتها على رصيفها .

وكان عبد الجليل افندي معاون هذه المحطة وهو رجـــل قصير القامة اصلع الرأس عريض الجبهـــة افطس الانف يضع نظارة على عينيه السوداوين ويرتدي بذلة المصلحة ويخرج من مكتبه الصغير يستقبل القطارات ويودعها . ويلوح بيده لعامل الاشارة ويرتب السيمافور .. ويلاحظ عامل البلوك .. ويعطي التذاكر للمسافرين . ويعد البضائع النازلة على الرصيف . ويعمل كل شيء في المحطة لانه الموظف المسؤول فيها . فهو ناظر المحطة ومعاون المحطة .. واحياناً يستلم الوردية في الليل من عامل التذاكر « الروسبيت » . وهـــو شيء ضئيل بائس افنى عمره في خدمة المصلحة والتصق بقضبانها واصبح يعيش في جو المحطات منذ ثلاثين عاماً .. حتى غدا قطعة منها .

المناورة .. المنافستو .. السيمافور .. البلوك .. الفحم .. الدخان .. العجلات .. البخار .. ٨٨ مر ... ٩١ متأخر ربع ساعة .. الاكسبريس داخل في الميعاد .. هذا هو حديثه .

وهو قد الف هذا الجو واستراح الى هذه الحياة . ونسي بؤسه ومتاعبه في غمرة عمله المتواصل . ولكنه حط نقمته على الفلاحين .. فما من واحد من هؤلاء يستطيع ان يركب من محطة منقباد بغير تذكرة . او ينزل من القطار بدونها . انه يقف لهؤلاء بالمرصاد

وعندما يضبط واحداً من هؤلاء اللصوص الذين يسرقون مال المصلحة كما كان يسميهم يصيح باعلا صوته :

« يا ابو منصور .. »

ويقبل الخفير من بعيد وهو يذرع الرصيف في تمهـل .. وتبدو قامة مارد ضخم في غبش الغسق .

« خذ الواد ده على النقطة .. »

وعندما يسمع الفـــلاح المسكين كلمة النقطة ينكمش ويستنجد ثم يدفع ثمن التذكرة والغرامة ويمضي .

ويعود ابو منصور الى مكانه على الرصيف يفتل شاربه الضخم ويرقب الليل الزاحف بعين صقر .

وكان ابو منصور خفير هذه المحطة منذ خمسة عشر عاماً . وعلى الرغم من انها تقع في منطقة تكثر فيها حوادث السطو والنهب فانها لم تقع فيها حادثة سرقة واحدة . فقد كان من اشد الحراس بأساً . كانت العربات المحملة بالبضائع والماشية تدخل المحطة وعليها حراسها الخصوصيون .. بين كل عربتين او ثلاث عربات من هذا القطار الطويل يجلس رجل مسلح . ولكن ابا منصور كان يمر عليهم جميعا واحداً واحـداً ويقول بصوته الاجش . « ناموا يا جدعان .. فالحارس هو الله .. »

وكان صوته القوي يبعث فيهم الاطمئنان فينامون فعلاً ..

ويظل ابو منصور ساهراً وحده .

وكانت مدينة اسيوط تتوهج على بعد وهي قائمة عند سفح الجبل .. وتبدو المصابيح كأنها النجوم اللامعة في سماء حالكة الاديم .

وكان على يسار المحطة العزب الصغيرة بنخيلها واكواخها الحقيرة وكلابها التي تظل تنبح طول الليل .

وكان الظلام في الليالي التي لا يظهر فيها القمر يضرب برواقه على كل شيء ولا ترى الا بصيصـــاً من النور في بعض الحقول البعيدة حيث يصطلي الفلاحون بالنيران او يضعون الشاي على اعواد البوص والحطب .

وكان النيل قريباً من المحطة وهو يلتوي في هذه الجهة ويبلغ مجراه حد الاتساع وكانت المراكب الشراعية تبدو على سطحه مقبلة مدبرة ، واشرعتها البيضاء تخفق في قلب الليل كالاعلام .



وكان السكون عميقاً.. وعندما تمر القطارات السريعة وهي تنهب الارض نهباً مصفرة عاوية يظل صفيرها ودوي عجلاتها يتردد صداهما في الجو مدة.

وكان ابو منصور يسمع هذا الصدى يتردد وهو يذرع رصيف المحطة مقبلاً مدبراً، في خطوات متزنة ثقيلة. وحذاؤه الضخم يضرب في الارض وعيناه على العربات الواقفة في المنطقة مكدسة باحمالها.

وكان دركه من كشك المعاون الى آخر حدود المحطة.

***

وكان عطيه العبيط – وهكذا كان يلقبه الناس – يعمل متطوعاً في هذه المحطة الصغيرة كفراش وشيال معاً. فهو يكنس وينظف مكتب المعاون وبعض الاحيان يكنس المحطة كلها. ويحمل الحقائب للضباط من المحطة الى السيارة. ويحمل العشاء لابي منصور كل ليلة من بيته. ويشتغل مع الحمالين في نقل البضائع من العربات الى الرصيف. وينزل الطرود ويشحنها. ويقف على طريق السيارات يستوقف هذه السيارات للركاب. ويذهب الى مدينة اسيوط يشتري الاسبرين لمعاون المحطة الذي يشكو من صداع مزمن فاذا كان في اسيوط واستبطأ القطار في العودة جرى في نفس واحد الى منقباد. او نسي نفسه وذهب الى شرق الخزان يدير حركة المرور في الموقف. ويركب الفلاحين في سيارات الاجرة الصغيرة ويأخذ من كل سائق اجره مهما كان فهو لا ينسى اتعابه ابدا. ولكنه لا يبالغ في هذه الاتعاب. فاذا اعطيته قرشاً واحداً حمد ربه وشكر. وانطلق الى عمل آخر فهو جم النشاط لا يضيع وقته في المساومات.

وهو مع تفاهته «وعبطه» يعمل اعمالاً تدل على ذكاء مفرط فهو يتخذ من سوق منقباد يوم السبت وسيلة طيبة لرزقه فهو يقف على شريط المحطة ويأخذ من كل فلاح يعبر الشريط في طريقه الى السوق نصف قرش..! ويستثني من ذلك النساء!!. ويقول للناس ان ذلك ضريبة الحكومة.. ويدفع الفلاحون صاغرين.

وكان ينام على الرصيف في جوار مكتب المعاون وليس على جسمه في فصل صيف او شتاء سوى جلباب واحد ازرق ممزق الاطراف لكثرة عدوه في الطرقات. وهو عاري القدمين بارز الصدر ممتلىء الجسم اسمر متوسط الطول مستدير الوجه في عينه اليمنى حول خفيف. وفي ساقه آثار ندوب تمتد الى قدميه.

وكان يظل ساهراً في المحطة يتحدث مع أبي منصور فاذا سمع حركة الاشارات في البلوك ذهب الى العامل وظل معه يشربان الشاي الاسود ويدخنان حتى مطلع الفجر.

فاذا رأى وهو جالس في الكشك مركباً شراعياً راسياً على الشط ترك صاحبه واندفع الى المركب كالمجنون.. ويغيب عن المحطة اسبوعاً او اسبوعين ثم يعود فجأة. فاذا سئل اين كان طوال هذه المدة.

قال وعيناه تلتمعان:

« كنت في مصر ياعم .. عمار يامصر .. زرت الاسياد .»

ويجتمع حوله الفلاحون .. وينطلق يحدثهم عن رحلته في النيل.. والاشياء التي شاهدها في القاهرة.. والمشاهد التي زارها.. وعيونهم تحدق في وجهه وايديهم تلمس ثيابه التي تبركت بالاسياد.

يصف لهم المركبات التي تجري بالكهرباء .. والانوار التي تخطف الابصار .. والمساجد العظيمة والقباب الشامخة .. والقصور من الذهب .!!

ويهمهم الفلاحون ... « من الذهب ..؟»

يسأل واحد منهم وقد اخذه العجب ..

« ايوه ....روح شوف .. »

ويقول آخر: « ياما من الدنيا... اللي يعيش ياما يشوف..»

وينتهي الحديث .. ويظل عطيه ساهماً يسترجع ايامه الحلوة في القاهرة.

***

وذات ليلة من ليالي الشتاء .. كانت البرودة على اشدها والظلام مطبقاً والرياح تعوي وتصفر .. وكانت اشجار النخيل تتمايل مع الريح وتئن فروعها وتتوجع وكنت لا تسمع وانت واقف في المحطة الا صوت الرياح الهوج وصفير القطارات السريعة وكانت قطارات البضاعة تجلجل عجلاتها على القضبان.

ووقف قطار من هذه القطارت في المحطة وعلم ابو منصور ان القطار سيظل الى الصباح. ولهذا ضاعف انتباهه. واخذ يسمع الليل صوته ويهتف من حين الى حين: « من هناك...»

وكان بصره حديداً وسمعه قوياً .. وكان الظلام شديداً يضل فيه البصر ولكن اذا مر الاكسبريس وسلط نور الكشاف تحول كل شيء في المحطة الى نهار مبصر

ووقف ابو منصور عند كشك التذاكر يتحدث مع العامل وقد وضع البندقية على كتفه وسمع رنين جرس التليفون في الكشك وحركة السيمافور وهو يفتح الطريق.

وكان الظلام على اشده والنجوم كابية في السماء ولا شيء يبدو غير الجهامة المطبقة والليل الذي ليس بعده ليل.

# الموضوعية في الرأي ضرورة فكرية

بقلم عبد الرضا صادق

يزعم وليم جيمس ان ايمانك بعقيدة - اية عقيدة - والارتياح لها من الناحية النفسية يكفيان دليلا على صحتها من وجهة نظرك . ويمضي جيمس بعد ذلك فيقرر ان الناس يختلفون كثيراً في اختيارهم للاطعمة والملابس ودور السكن وما شاكل ذلك حيث تلعب اذواقهم دوراً فعالا في هذا المجال . فلماذا لا نجيز لهم ان يفعلوا ذلك في مجال العقائد والافكار ؟ واذا سلمنا هذا جاز ان نشك في وجاهة تفضيل عقيدة على عقيدة اخرى من طريق الاقناع المنطقي[1]

على هذا الاساس يكون المجال الفكري كالمجال العاطفي في رأي وليم جيمس كلاهما يخضع لمنطق الذاتية ، اما الموضوعية فلا ضرورة لها ان في حياة العاطفة او في حياة الفكر . ويلوح لي ان « براجماسية » جيمس المتطرفة لم تكن نتيجة تأمل فلسفي حر ؛ وانما كانت نتيجة ظرف اجتماعي تميز باضطهادات عقائدية رهيبة ، فكأن ، جيمس يتفلسف ليصحح وضعاً من اوضاع الحياة الاجتماعية لا وضعاً من اوضاع الحياة الفكرية . ومن هذه الزاوية نستطيع ان نرى في نظرية وليم جيمس انسانية رائعة .

ولنسلم جرياً مع ظاهر القول ان الرجل يحترم كل فكرة كما يحترم كل عقيدة ايكون قياس الفكر على العاطفة مقبولا على هذا النحو من التعميم ؟ يخيل لي ان الانتهاء الى رأي وجيه في المسألة يقتضي ان نتعمق وجهة النظر في مقوماتها الرئيسة .

ما هي وجهة النظر في مقوماتها الرئيسة ؟

يحسن بنا ان ننقل البحث من محيط تجريدي تختلط فيه الاشياء الى محيط حسي لا تختلط فيه الاشياء ، اي يحسن بنا ان نواجه المشكلة الفكرية - اية مشكلة فكرية - مواجهة حسية ، ونتعرف الى وجهات النظر فيها تعرفاً حسياً .

جاء في كتاب « الانصاف في مسائل الخلاف » ما يلي[1]

« يذهب الكوفيون الى ان قولهم : **زيدا ضربته منصوب** بالفعل الواقع على الهاء ، ويذهب البصريون الى انه منصوب بفعل مقدر ، والتقدير فيه ضربت زيداً ضربته . يحتج الكوفيون لمذهبهم في المسألة ان المكني - الذي هو الهاء العائد - هو الاول في المعنى فينبغي ان يكون « زيداً » منصوباً « بضربته »

[1] التربية وفلسفتها : للدكتور نوري جعفر .

[1] قصدت الى تخير هذا المثال من مسائل الخلاف عند النحاة لما يتصف به هؤلاء من دقة وضبط .



---

وكانت الرياح تصفر في اسلاك البرق الممتدة بجانب الخط الحديدي وتهز الاعمدة واوراق الاشجار الصغيرة .. وكانت السيمافورات لا تنقطع يبدو نورها الاحمر ثم يخبو .

وكان ابو منصور قد ارتدى معطفه الثقيل واخذ يذرع الرصيف متمهلا وعبر على قطار البضاعة الواقف هناك عربة عربة .

ثم عاد الى مكانه الاول عند الكشك وهو يمشي ببطء . . وتوقف وعينه على الخط الحديدي .

وجلس على صندوق من الصناديق الملقاة على الرصيف .. وانزل البندقية واعتمد بذقنه عليها وارسل بصره الى الشرق .

وسمع حسا فتلفت وتسمع .. ونهض ونصب قامته واتجه الى مصدر الصوت وكان في العربات الخلفية من قطار البضاعة

ولما اقترب من العربة سمع الحركة بوضوح ...فانزوى بين عربتين وهتف : « من هناك .. » فلم يرد عليه احد

فكرر المناداة ... فسمع على التو حركة شديدة .

ورأى رجلا يجري على الشريط حاملا شيئاً على ظهره .

فهتف به « قف ... قف .. » وارسل طلقة من بندقيته في الهواء . ولكن الرجل ظل يجري وزاد من سرعته .

وكان قطار الاكسبريس قادماً من بعيد يطوي الارض طياً .. فابتعد ابو منصور عن الخط .. ورأى الرجل لا يزال يجري كالمجنون على الشريط . ولما مر القطار جرى ابو منصور ولمح الرجل ملقى على الشريط .. ولما اقترب منه عرفه

كان عطيه العبيط .. وقد مزقه القطار .. بعد ان اغواه الشيطان على السرقة في هذه الليلة لاول مرة في حياته .

كان وهو يحدث الفلاحين عما شاهده في مصر .. قد اغفل عامدا ذكر الشيء الوحيد الذي اسره وفتنه وملك عليه مسالك تفكيره .. حتى عاوده الحنين الى رؤيته مرة اخرى . . نساء القاهرة بسيقانهن العارية ..!

القاهرة

محمود البدوي

على نحو النصب في قولهم : اكرمت اباك زيداً ، واهنت اخاك عمر . ويحتج البصريون لمذهبهم في المسأله ان في الفعل الظاهر دلالة على الفعل المقدر فجاز اضماره استغناء بالفعل الظاهر عنه » . ويعطف البصريون على حجة الكوفيين فيضعفونها بقولهم : « ان انتصاب زيد في قولهم : اكرمت اباك زيداً ، على البدلية ، وجاز ان يكون بدلا لانه تأخر عن المبدل منه اذ لا يجوز ان يكون البدل الا متأخراً عن المبدل منه اما في قولنا : زيداً ضربته فقد تقدم زيد على الهاء فلا يجوز ان يكون بدلا منها ، يضاف الى هذا ان العامل في المبدل منه ، بتقدير تكراره في البدل ، ويدل على ذلك قوله تعالى : « قال الملا الذين استكبروا من قومه **للذين استضعفوا ، للذين آمنوا** » فاظهر العامل في البدل كما اظهره في المبدل منه فدل ذلك على انه في تقدير التكرير ، وان العامل في البدل غير العامل في المبدل منه » .

نحن اذن امام مشكلة فكرية لغوية نستطيع ان نضعها على الشكل الآتي :

**ما العامل في زيد ، في قولك ، زيداً ضربته ، اهو الفعل المقدر ام الفعل الظاهر** ؟ وفي المشكلة وجهتا نظر ، احداهما ، لنحاة البصرة ، وفيها ايضاً ان وجهتي النظر لم ترسلا ارسالا بل كانتا تتسلحان بتعليل ، وان التعليل نفسه كان يتسلح بالقضايا المسلمة عند النحاة . وفي المشكلة عدا هذا وذاك ظهور لرأي البصريين محصّد له توافر الحجة فيه كما وكيفاً .

هذه مشكلة تتصل باللغة فلنواجه مشكلة اخرى تتصل بالفلسفة .

جاء في الجزء الثاني من « ابن رشد » للاب يوحنا قمير كلام في القضاء والقدر يمكن تلخيصه على النحو التالي :

ان ادلة العقل في هذا الصدد متعارضة كادلة الكتاب فاذا كان الانسان خالقاً لافعاله لم يكن الله خالقاً كل شيء ، وان كان الله خالقاً لافعال الانسان كان الانسان مجبوراً ، واذن ما الحل الصحيح ؟ يرى ابن رشد ان للانسان قدرة على فعل الاضداد ، على ان الارادة لا تعمل الا بمؤاتاة اسباب سخرها الله من خارج او من داخل ، فافعالنا تابعة لهذه الاسباب ، وعلى هذا واذا نسبت الافعال الى ارادتنا فقط انتفى الجبر ، واذا نسبت الى الاسباب الدافعة فقط ثبت الجبر . ولكن كيف يكون الله عادلا ويدفع الانسان بواسطة تلك الاسباب الى فعل الشر فالهلاك ؟ يقرر ابن رشد هنا ان الاسباب ذاتها تدفع الى الخير ، وبالعرض ينتج عنها الشر لما في تركيب الانسان من نقص وعليه لم يكن بد من احد اثنين ؟ اما عدم خلق الانسان واما ايجاده كما هو بخيره الاكثر وشره الاقل ، ومن الواضح ان الحكمة والعدل يقضيان بايجاد الخير الاكثر مع الشر الاقل .

ويعقب الاب يوحنا قمير على نظرية ابن رشد في القضاء والقدر بانها تحوي بعض المبادىء الفاسدة ، فمن الخطأ ان يجعل الانسان سبب الاعراض الوحيد[1] والا انكرنا شمول الخلق ، كما ان من الخطأ اعتبار السبب قاهراً فقد يكون السبب مغرياً لا قاهراً ، فنظرية ابن رشد تنكر شمول الخلق ، وتنكر عملياً حرية الانسان فلم تأت بصالح او طريف .

نحن هنا امام مشكلة فكرية فلسفية نستطيع ان نضعها على الشكل التالي :

هل الانسان مجبور ، او مختار ؟

وفي المشكلة وجهة نظر ، يحاول ابن رشد ان يسلحها بتعليلات ، والتعليلات نفسها تحاول ان تتسلح بقضايا العقل المسلمة : ان الجبر ينفي حكمة التكليف ، والاختيار ، على النحو الذي يذهب اليه القائلون بالاختيار ، ينفي صلة الله بكل خلق ، واذن فلا بد من ان يخلق الانسان العرض . واذا كانت الاسباب التي يسخرها الله من الخارج او الداخل تدفع الانسان احياناً الى الشر فلنقص في تركيب الانسان ، اما الاسباب فهي في ذاتها خيرة ، والحكمة تقضي بان يوجد الانسان بخيره الاكثر وشره الاقل . ومن هنا وجد الانسان ولم يكن من العدالة ترجيح عدمه على وجوده . ولكن ابن رشد مع هذا كله لم يسلم من الاعتراض فقد زعم الاب يوحنا ان نظريته لم تأت بصالح وليس فيها طرافة فهي تنكر تحول الخلق ، وتنكر عملياً حرية الانسان . ويلاحظ هنا ان الاعتراض نفسه لم يرسل ارسالا وانما حاول ان يترسخ بحجة تستمد قوتها من قضايا المنطق المسلمة .

من وراء هذا كله نستطيع ان نقرر حقيقة لا تقبل الجدل هي ان وجهة النظر لا يمكن ان تكون رأياً محترماً ما لم يتوافر فيها العنصر الموضوعي ، فهو الذي يصحح اعتبارها وجهة نظر . والعنصر الموضوعي ضرورة من الضرورات التي لا بد منها في حياة الفكر ، وخلو هذه الحياة منه يفقدها خصيصة



١) الافعال التي يخلقها الانسان في رأي ابن رشد اعراض لا جواهر اما الجواهر فخلقها مقصور على الله .

الاستقرار ، والاستقرار في الحياة الفكرية هو نقطة الانطلاق نحو اضافات جديدة وما نشك في ان طغيان الذاتية في حياة الفكر يشل فيهـــا الحركة ويعوقها عن النماء ، ذلك لان الذاتية ليس من طبيعتها ان تلزم ،وما ليس من طبيعته ان يلزم فليس من طبيعته ان يرسخ صعيداً للوثوب والانطلاق .

والعنصر الموضوعي في حياة الفكر اشبه ببدهيات الهندسة او بنظرياتها المسلمة ، فالمشكلة الفكرية كالمشكلة الهندسية لا بد ان يقوم في اساسها موجه يضبط خطوات السير ، وهو ما نسميه بالعنصر الموضوعي او العنصر البدهي او الاساس العقلي المسلم . ومن الواجب ان ننبه هنا عـــلى ان العنصر الموضوعي في مشاكل الفكر ليس شيئاً محدداً في كميته ولا هو شيء محدد في كيفيته ولكنه شيء لا مفر من ان يكون بدهياً ، او هو شيء لا مانع من ان يكون نظرياً شريطة ان ينتهي في اسسه الاولى على البداهة ، وعلى هذا النحو يكون العنصر الموضوعي ميداناً رحبـــاً لتنافس الاذهان الفنية ، ومجالا واسعاً للتوليد والخلق .

والعنصر الموضوعي في المشكلة العقلية قابل لان يفقد اعتباره في اية لحظة ذلك ان الديناميكية التي يتميز بها الفكر الانساني في تطوره تقتضي ان يكون العنصر الموضوعي عرضة للافلاس ولو من الناحية الفرضية المجردة .

لقد ذكر اقليدس في كتابه « مبادىء الهندسة » عام ٣٠٠ ق.م. جملة من القضايا الهندسية منها: ان الخط المستقيم اقصر بُعد بين نقطتين ، وان الخطين المتوازيين لا يلتقيان مهما امتـدا ، وان مجموع درجات المثلث يساوي مجموع درجات زاويتين قائمتين . ثم جاء بعد اقليدس جمهرة مـن علماء الهندسة اثبتوا ان قضايا اقليدس في الهندسة لا تصدق الا عـــلى الورق فقط وايدت البحوث العلمية ما ذهبوا اليه فالخطـــان المتوازيان المرسومان على سطـــح الارض يلتقيان في القطب ، واقصر مسافة بين نقطتين في الجو ، او على سطح الكرة الارضية كما يحدثنا علماء الفيزياء الحديثـــة هي الخطوط الجيودستيكية Geodestic lines وهي خطوط منحنية وان مجـــوع درجات زوايا مثلث مرسوم على الارض بحيث تكون رؤوسه موجودة مثلا في القطب الشمالي واقصى خط الاستواء يميناً ويساراً اكثر من مجموع درجات زاويتين قائمتين[1] . من هنا يتضح ان العنصر الموضوعي لا يتصف بثبوتية مطلقة ولكنه يتصف بثبوتية مقيدة بزمان ومكان معينين . ويظل العنصر الموضوعي ثابتاً ما ظل ينتظر في دفاعه عن نفسه فاذا تسرب اليه الضعف ، حل محله عنصر موضوعي آخر يظل هو الآخر ثابتاً ما ظل ينتصر في دفاعه عن نفسه . لقـد استمرت نظريات اقليدس في الهندسة تضبط التفكير الهندسي قرابة عشرين قرناً وحين بدأت صراعها مع النظريات الحديثة في الهندسة لم تثبت وكان عليها ان تفسح المجال لنظريات اخرى اقوى .

ويبدو لي ان هذا القدر من الثبوت يكفي لاستقرار الحياة الفكرية فنحن ملزمون بان نحتكم الى موازين لها هذه الثبوتية المقيدة اي اننا مضطرون لان نمنح هذه الموازين سلطة القضاء في مشاكل الفكر ، ولكننا لسنا ملزمين بان نظل عبيداً لها فحين نجد ان هذه الموازين بدأت تضعف في صراعها من اجل البقاء جردناها من هذه السلطة ودفعنا بها الى موازين اخرى تقوى فيها عناصر الحياة .

من المسلم اذن ان وجهة النظر لا يجوز ان ترسل ارسالا ، وان التعليل الموضوعي هو الذي يصحح اعتبارها وجهة نظر . واذا كان الامر كذلك فـلمَ **لا يكون التعليل الموضوعي في الرأي مقبولا دائماً** ، **وقد جوزنا فيه الا يكون محدوداً في كميته وكيفيته ؟** الحقيقة اننا لا ننكر ان يكون التعليل الموضوعي مقبولا دائماً شريطة ان يستبين فيه عنصر البداهـة ان مباشرة او بواسطة ؛ وشريطة ان لا يظهر تعليـل آخر في توافر حججه كثرة ونوعاً . ولست افهم كيف نسيغ مـــن الناحية الفكرية – لا من الناحية الخلقية – ان نحترم رأياً أفلس اما لافلاس العناصر الموضوعية التي يعتمدها واما لان رأياً آخر يقوى عليه ويغلبه على امره . ولست امنع ان بعض مشاكل الفكر تقبل بحكم طبائعها المرنة اكثر من وجهة نظر واحـدة ولكنني لست امنع كذلك في ان واحدة من وجهات النظر لا مفر من ان يظهر فيها جانب الرجحان غالباً وان الحالات التي لا يتحقق فيها ذلك من القلة بحيث لا تضعف مـا نذهب اليه من رأي . بقي ان وجهة النظر الراجحة لا يكون رجحانها ثبوتياً على نحو الاطلاق فهو ثبوتي بالقياس الى وجهات نظر معلومة ومقارنة وهو نسبي بالقياس الى وجهة نظر اخرى مجهولة . وهذا هو الذي عبر عنه نحاة البصرة بقولهم : والله اعلم ...

بغداد — عبد الرضا صادق

[1] التربية وفلسفتها : للدكتور نوري جعفر ص ١٥٩ – ١٦٠

# يا طبيبي

☆

## لأم نزار الملائكة

•

اخي الاستاذ البير اديب :

. . . . . لقد كانت والدتي قليلة العناية بنشر شعرها الغزير الخصب الذي خلفت لنا منه مئات القصائد ، وقد حال موتها المفاجيء ، وهي في ريعان الشباب (مولدها سنة ١٩٠٩) دون ان تجمع شعرها في دواوين. وهذا هو السبب في ضآلة معرفة القراء بشعرها خارج العراق ، وهو امر جعل شاعريتها لا تتألق التألق الذي تستأهله . على اننا في سبيل طبع ديوانها ولن ننتظر الا ريثما يهدأ الألم ويصفو جونا . . .

اني ابعث الى الاديب طي هذا بقصيدة نحبها من شعر والدتي عنوانها « يا طبيبي » وهي كما ترى تتحدث عن مرضها الاخير الذي صرع شبابها الشاعري وحرمنا من حنانها وتوجيهها . . . . .

**بغداد** **نازك الملائكة**

يا طبيبي هاك آلامي ويأسي وشحوبي
هاكها دنيا من الاهوال حمراء القطوب
لوعة تصرخ كالاعصار تطفى كاللهيب
غمرات فظة تسدر في افقي الرهيب
ورؤى سود توالى في دجى روحي الكئيب
ارتجت حولي ابواب الرجاء. اين هروبي؟

***

شخّص الداء وصف ما شئت للداء دواء
والمس القلب تجد في خفقه داءً عياء
يا طبيبي يئست روحي فلم تلف رجاء
حلل النفس تر الجرح عميقاً والعناء
وفؤاداً فاته البرء فعانى البرحاء
انها الحيرة تأبى لي من سقمي شفاء

***

أنا في ليل من الحيرة واليأس مديد
انا في هول من المحنة والغم شديد
الشعور الغض في سجن مرير وقيود
والاناشيد حيارى في دياجير وجودي
عصفت بي ثورة الآلام كالخصم اللدود
كل ما حولي ألوان من اليأس المبيد

***

ها هو العام وقد اوشك في السقم يذوب
ذهب اليأس بثلثيه وفي الثلث شحوب
يتلوى بين كفّي كاسر ما ان يغيب
يا طبيبي كاد ان ينكرني الطب الرحيب
كدت ان اومن ان لا منقذ لي لا مجيب
فامحُ هذا الليل تهتز لنجواك الغيوب

***

ان في كفّيك احساساً وروحاً شاعرياً
ان في كفيك قلباً نابض الوجدان حياً
وطيوفاً لم تعد تخفق بالنور اليّا
واهازيج مروعات ثوت بين يديّا
كل ما في الكون من بشر خبا في ناظريا
واستحال الامل الحلو لظى يطغى عليا

# بين غوركي والقيصر

بقلم جلال فاروق الشريف

لكم

انت بائس ، فقير بائس يا وطني ، ولكم انت غني ، مترف غني ! لكم انت ضعيف ، خائر ضعيف يا وطني ولكم انت جبار ، قوي جبار ! انت ! انت يا وطني ، قلب ، قلب حر ، رازح في العبودية .

وهذا الشعب ، قلبه من الذهب ، الذهب الوهاج .

القوة ، قوة الشعب ، قوته الماضية هي في وعيه ، وعيه الصحيح .

ايتها العدالة الخالدة ! مع الظلم لا يمكن للقوة ان تعيش .

وهيهات ! هيهات للظلم ان يحفز الى بذل التضحيات .

وطننا . وطننا هذا ، لا يتحرك . ميتاً يبدو . غير ان الشرارة ، الشرارة الكامنة فيه اذا ما التهبت فجأة ، عندها يستيقظ الجميع ، دون ان يوقظهم احد . حبة .. حبة يتجمع القمح فيصبح جبلا شاهقاً . عندها يهب جمهور عظيم ، بآلاف مؤلفة من الصفوف ، حاملا بين جنبيه قوة لا تقهر .

لكم انت بائس ، فقير بائس يا وطني ، ولكم انت غني ، مترف غني !
لكم انت ضعيف ، خائر ضعيف
يا وطني ، ولكم انت جبار قوي جبار !
ايها الوطن » .

بهذه الابيات الخالدة اراد الشاعر الروسي « نيكراسوف » ان يعبر عن مأساة وطنه ، وطنه الرازح تحت الاستبداد القيصري الواقع بين براثن طبقة من الاقطاعيين وفئة من الرأسماليين ، بعضهم يسوم الفلاحين في القرى اشد الاضطهاد ، وبعضهم يستغل العمال في المصانع ، ابشع الاستغلال ، والحكم القيصري من وراء هؤلاء جميعاً ، يكبت الحريات ، ويحارب العلم وينكل بالاحرار والمثقفين . غير ان نيكراسوف الذي شاهد كل هذه المساوىء كان مؤمناً بشعبه واثقاً منه ، لهذا فقد لمح وسط البؤس غنى عظيما ، وفي صميم الضعف شاهد قوة اعظم ، ووراء مظاهر السكون ، ومشاهد الموات ، ادرك ان هناك شرارة ستنطلق كي تضيء الظلام وتحرق الفساد .

هذا الغنى العظيم الذي شاهده « نيكراسوف » وتلك القوة الكبيرة ، وهذه الشرارة لم تكن غير قوة الشعب ، ارادة الملايين المنتشرة في المدن المرتمية بين القرى ، الهائمة في الشوارع العاملة في المصانع ، المتجمعة في المدارس . قوة الشعب هذه ، كانت هي الامل الذي تعلق به « نيكراسوف » فهل خاب رجاؤه وهل انهارت امانيه ؟ هل كانت قصوراً ابنيت على الرمال وصدوحاً شيدت على السراب ؟

كان رجاء نيكراسوف في موضعه ، وكان امله حقيقة ، وكانت شرارته لهيباً . فليست هناك حقيقة اقوى من حقيقة الشعب التي رآها ، انه قوة راهنة موجودة ، لا تفنى او تزول او تمتد اليها يد التدمير ، لانها متجددة باستمرار ، ينبوعها لا ينضب وتيارها لا يجف .

لو قدر « نيكراسوف » ان يعيش اعواماً اخرى ، لشاهد بام عينه ان حدس الشاعر قد اصاب . وان فراسة المستبدين قد اخطأت . فقط لو قدر له ان يعلم قيمة عام من الاعوام في حياته ، لو قدر له ان يعلم قيمة عام ١٨٦٨ في تاريخ روسيا هذا العام الذي مر عليه كبقية الاعوام ، دون ان يأبه له كثيراً ، ومن كان يدري ما يخبئه القدر ، اذن لادرك ان امله بيقظة الشعب قريب التحقيق ، وان امنيته بخلاص امته لن يطول مداها .

في هذا العام الذي لم يعلم نيكراسوف باهميته ، في عام ١٨٦٨ ولد طفلان . طفلان قدر لهما ان يكونا خصمين لدودين ، لا حياة لاحدهما الا بموت الآخر ، بل لا حياة لشعب باكمله دون القضاء على احدهما . اما الاول فقد قدر له ان يكون آخر قيصر في روسيا ، آخر حلقة من سلسلة آل رومانوف الرهيبة التي حكمت شعبها بالحديد والنار والظلم والطغيان . اما الثاني فقد قدر له ان يلد من صميم الشعب كي يناضل من اجل شعبه ويحقق له الظفر والانتصار . لهذا ، وفي سبيل الشعب ، قدر لهذين الطفلين ان يكونا عدوين وخصمين ، وان يتصارعا مدة طويلة ، صراعاً انتهى نهايته الطبيعية ، اي بانتصار ذاك الذي ناضل مع الاكثرية ، ضد الاقلية الحاكمة المستأثرة ، اي بانتصار مكسيم غوركي على القيصر نيقولا الثاني .

احدهما اهتزت اجواء موسكو لميلاده واطلقت المدافع تحية لقدومه ، وعلم القاصي والداني في روسيا واوروبا والعالم بانه ولد ، ولا عجب انه القيصر ابن القيصر اما الآخر فلم يعلم بمولده احد الا القليل . امه وابوه وبعض الجوار من الفقراء ، في مدينة « نوفغورود » على الفولغا . اما جده فقد ارغى وازبد لم يكن يريد لابنته ان تلد ، لا ولا ان تتزوج ، فكيف يفرح

* حديث ألقي من محطة اذاعة دمشق

بالصغير ويهلل لقدومه . كان صاحب مصبغة في نوفغورود . هـذه المدينة التي ستحمل في مقبلات الايام اسم هـذا الحفيد الذي ولد فيها هذا العام . واحبت ابنته البالغة «فارفارا» شاباً هو « مكسيم بيشكوف » وتزوجته رغم انف ابيها . ولم يرض ابوها ، وقاطع هذا الزواج ، وحارب الاثنين ونقم على الصغير . غير ان شخصين فرحا بميلاده وسعدا بقدومه ، هما امه وابوه ، فقد كان ثمرة حبهما ، ذلك الحب الذي تحدت الام فيه اهلها كي تتزوج بابيه ، فكيف لا تفرح بابنها وكيف لا تسر ؟!.

اما الآخر ، ابن القيصر ، فهل فرح فيه ابوه وامه ؟ فرح به ابوه لا لانه ابنه ، ابنه المجرد ، مهما كانت صفته . بـل لانه سيكون وريثه وولي عهده ، واستمراراً لاسرته . وتزوج امه لا لانه يحبها ، ولا لان العاطفة هي فوق كل شيء ، بـل لانه يريد ولداً يرثه ، قبل ان يريد امه ، يريد اي ولد من اية امرأة كي يحفظ هذا التراث المتوارث، تراث حكم الملايين والتصرف بها كالسائمة التي لا حرية لها او كرامة . اما امه فهل هللت لقدومه ؟ هل الحب هو الذي ساقها الى الزواج ام السياسة هل اختارت زوجها ام اختاروه لها ام اختاروها له؟ كان ميلاداً سعيداً هانئـاً في البيتين ، بيت الفقير وبيت القيصر ، لكن شتان ما بين الفرحتين !! بين فرحة من القلب في البيت الفقير وبين فرحة من الشفاه في بيت القيصر . بين ولد فرح به اهله، وبين ولد اجبر الشعب على ان يفرح به ، كما يجبر المحكوم على ان يضحك لقدوم جلاده .

وسارت الاعوام ... وترعرع ابن القيصر كما يـتـرعرع القياصرة ، اما مكسيم غوركي فقد حملته امه على ذراعها وسارت وراء ابيه الى « استراخان » يبحث لنفسه عن عمل فيها . ووفق فيها الى عمل ، فكان مستخدماً في شركة الملاحة الهندية وكانت الاسرة سعيدة ، رغم الفقر والحرمان ، غير ان السعادة كانت قليلة في تلك العهود . فقد انتشر وباء « الكوليرا » ومات به الاب المسكين بعد اربع سنوات من مولد ابنه ، فحملت الام ابنها الاول ورضيعها وركبت سفينة في الفولغا الى نوفغورود الى بيت ابيها الغاضب ، وعلى السفينة مات الرضيع ، فلم يبق الا ابن وام عادا الى بيت الجد يلتمسان الطعام والمأوى .

اما ابن القيصر فلم يحرم من ابيه ، لان الكوليرا قبل ان تصيب القيصر يجب ان تجتاح شعباً باكمله ، ولان الاطباء الذين احاطوا بالكرملين ، لم يهتموا في كثير او قليل ، بمئات وآلاف من المواطنين قضى عليهم الوباء في ذلك الحين .

وفي كنف الجد ، ترعرع مكسيم . غير ان الكوارث لم تلبث ان نزلت برأس هذا الصغير . اما الجد فقد ذهب ماله بعد ان ذهبت مصبغته . واما الام فقد تزوجت ، ولم يبق للصغير من يرعاه غير جدته . وابتدأت دراسته ، واجتاز السنوات الثلاث الاولى بنجاح ، ونال الجوائز كتباً غير انها بيعت ، بيعت كي تشتري الجدة بها طعاماً وكساء . واشتدت الضائقة بالاسرة ، فعلقوا في رقبة الطفل مكسيم كيساً يتجول به يوم الاحد في الطرقات يلتقط الخرق البالية والمسامير كي يبيعها بالقليل الذي قد يساعد الاسرة على سد رمقها . اما ثيابه التي كان يرتديها في المدرسة فهي مزيج من معطف جده وثوب جدته وحذاء امه.

وبلغ العاشرة ففقد امه ، فلم يبق لليتيم غير جديه . فقال له جده : لست وساماً يعلقه المرء في عنقه ويحمله عـلى صدره اذهب وعش بين الرجال . هكذا خرج الطفل هائماً شريـداً يبحث عن لقمته في نوفغورود . عمل اجيراً ، عند حذاء تارة ، وتارة عند رسام ، واخرى عند مهندس ، وغيرها على مركب في الفولغا ، وسيم سوء العذاب ، ضربه الذي استخدمه ذات مرة ضرباً اشرف به على الهلاك ، غير ان الصبي كان لا يزال صبياً ، جلداً على الحياة قادراً على مقارعتها . وبدأ يبحث عن الكتب . فيها كان يجد السلوان والعزاء ، واليها يركن ساعات طويلة تنسيه هموم الحياة ومتاعبها . ووجد في قصص كبار الادباء الروس لذة ما بعدها لذة فاقبل عليها بشغف ونهم يلتهمها التهاماً

وضاقت به سبل الحيـــاة في نوفغورود مسقط رأسه فقرر الرحيل ولما يبلغ السادسة عشرة مـن عمره . لكن الى اين ؟ الى « قازان » التي اقله اليها مركب على الفولغا . وهناك عمل حمالا على الميناء . عاش بين الفقراء والمشردين وخالطهم ليـله ونهاره . وتعرف الى بعض الطلاب . شجعوه عـلى الدراسة وقاسمه احدهم غرفته وانكب على المطالعة ، يحاول ان يظفر بشهادة الدراسة الثانوية ، هذه الدراسة التي لم يتح له يوماً ان يتابعها رسمياً ، وان كانت الحياة قد زودته من العلم والتجربة بزاد لم تمنحه لغيره ولم تجد به على اديب سواه . واي ثقافة خير من ان يحيا الاديب حياة شعبه ساعة ساعة ويوماً يوماً وعمراً باكمله .

والتمس عملا في مخبز . كان يقضي اربع عشرة ساعة بين المعاجن قرب النار المتوهجة كي يعود بعدها ، الى زاوية صغيرة يقرأ فيها .

وبلغ مبلغ الشباب وتفتحت عيناه على قسوة حياته. وادرك، في لحظة كالبرق، الواقع التعيس الذي يحياه فقرر الخلاص من هذه الحياة التي لم يعرف فيها احداً يشاطره فرحة او بؤساً. وما اقل ما فيها من فرح وما اكثر ما فيها بؤس!

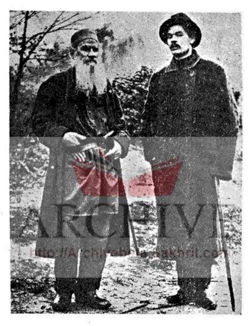
واشترى لنفسه مسدساً. وكتب كلمة ينبيء فيها من يعثر على جثته بانتحاره، واطلق النار. اطلقها على صدره يريد ان يمزق قلبه الذي خفق بآلام كثيرة غير انها اخطأته وثقبت الرئة اليسرى واستقرت في الظهر. وحمل الى المستشفى، وقدر له الشفاء. وكان هذا من حسن طالع الادب الذي ربح بنجاته ربحاً عظيما.

وغادر «قازان» ولئن فشل في دراسته فيها غير انه ربح تجربة مريرة تجربة الموت الرهيبة. وربح الى جانبها وعيا وثقافة فقد كانت قازان في ذلك الحين مركزا للحركات التحررية التي تبغي الخلاص من القيصر، هذا القيصر الذي ولد ابنه وغوركي في عام واحد.

حتى هذه اللحظة لم يلتق الخصمان وجها لوجه. كان القيصر لا يزال ولياً للعهد، وكان غوركي لا يزال يناضل ضد العوز والفاقة، غير ان الاثنين كانا يتأهبان: احدهما يتأهب كي يحكم الشعب وآخر يتأهب للكفاح ضده.

ولم يجد غوركي امامه غير الريف، غير سهول روسيا وقراها فعمل في متجر ريفي واتصل بالفلاحين وعاش عيشتهم وادرك ما يعانون وما يتكبدون، وبدأ يحاول ان يدعو ضد الاقطاع وضد الاستغلال غير ان خصومه كانوا اقوياء فاحرقوا المتجر الذي استخدمه وفر غوركي. وانتقل بعدها كي يعمل مرة حارساً في محطة للسكة الحديدية ومرة اخرى وزانا. وصمم على رؤية موسكو التي كان يحلم بمشاهدتها. فتسلل الى قطارات البضائع حتى ادركها ثم عاد الى نوفغورود، بلده بعد ان غاب عنه زمناً طويلا. ولم يجد من يرحب به فيه غير رجال القيصر وشرطته فسجن متهما بحيازة مطبعة غير انهم اطلقوا سراحه لان احداً لم يظفر بدليل يدينه وكان هذا بدء نضاله الفعلي واول تجربة سجن في حياته.

وقرر مرة اخرى الرحيل فحمل كيساً ضمنه القليل من اشيائه وابتدأ يسير. كان يريد ان يرى بلاده كلها. بدأ يتجول سائراً على قدميه ينام في الحقول والملاجيء ويؤجر نفسه اثناء الطريق عاملا زراعياً او مستخدماً او اجيراً يمارس كل شيء. ولم يكن ليتردد في اغاثة ملهوف او تقاسم القليل من طعامه مع جائع يلتقي به. ووصل في طوافه الى شواطيء البحر الاسود، وادرك نهر الدانوب، وعاد الى اوربا ومنها ذهب الى القرم، وفيها تعرف الى القوزاق. واوقف في الطريق وعندما سئل عن اسباب تجوله اجاب: اريد ان اعرف روسيا. كان فخوراً بانه يريد ان يعرف كل رقعة في وطنه. واتجه بعد ذلك نحو بحر الخزر، فاجتاز جبال القفقاس الى «تفليس» عاصمة جورجيا، وفيها قدر له ان ينشر ادبه الذي بدأ يكتبه شعراً واقاصيص.



مكسيم غوركي الى اليمين وليون تولستوي الى اليسار في صورة اخذت لهما عام ١٩٠٠

بدأ ينظم الشعر، ثم عدل عنه الى النثر فكتب قصة «ماكار تشودار» ودفعها الى جريدة محلية تدعى «القفقاس» فنشرتها له عام ١٨٩٢ وبذلك بدأ نضاله الادبي، في العام ذاته اصبح ولي العهد قيصراً. لقد ولد الطفلان في عام واحد، وبدأ الصراع بينهما في عام واحد ايضاً. احدهما سلاحه الادب والاخر سلاحه الحكم والسلطان. ولقد اثبت غوركي ان سلاحه امضى من سلاح خصمه واقدر على ان يخط في سفر

الخلود صفحات لا تمحى ابداً.

اخذ غوركي يكتب اقاصيصه . كان يصور فيها حياته وما مر به من تجارب وما شاهده في تشرده وتنقله، وكان ادب هذه الفترة من حياته، ادباً غنياً قوياً رسم فيه لوحات حلوة لابطال متشردين التقى بهم هنا وهناك وجعلهم رمزاً للحيوية والنشاط ، وتحدى الجمود والخنوع ، واسبغ عليهم من عاطفته الشيء الكثير ومن عنفوانه التمرد والجرأة .

وعاد الى بلده وقد بدأ صيته يذيع وينتشر. ورغم الحاح مرض السل عليه لم ينقطع عن الكتابة او يكف عن الانتاج. واخذ يتنقل بين نوفغورود وبطرسبرغ وموسكو ، ويكتب الروايات والاقاصيص والمسرحيات. في هذه الفترة اخذ يصور حياة الشعب في المدن ، بعد ان صورها في الارياف في الفترة السابقة. كانت الطبقات السفلى من عمال واجراء ومستخدمين هي مادة كل ما كتب . ولم ينقطع عن الحض على النضال والمساهمة فيه .

واقترب الخصمان من بعضهما في موسكو وبطرسبرغ . وقدر لهما اخيراً ان يصطدما مباشرة. فقد انتخبت اكاديمية العلوم اربعة من الادباء اعضاء فيها وكان من بينهم غوركي. وعلم القيصر بذلك فقد بدأ يسمع بخصمه ومناوئه فاصدر امراً بخط يده الغى فيه انتخاب غوركي. وكان له ما اراد . انتصر القيصر على غوركي ، غير انها كانت الجولة الاولى .

ولم يترك غوركي مناسبة بعدها الا ونزل فيها لملاقاة خصمه وحكومتـه ومقارعته وجهاً وجهاً. والتقيا مرة ثانية عندما صرع الحرس القيصري عشرات الابرياء فقال غوركي متحديا خصمه: «اننا نعلن ان نظاماً من هذا النوع لا يمكن ان نقبل به » ودعا المواطنين الى محاربة الحكم القيصري. وخيل للناس كأن القيصر سيربح هذه الجولة ايضاً ضد غوركي، فقد قبض عليه والقي في السجن غير ان حكومة القيصر اضطرت الى اطلاق سراحه فقد كان الشعب من ورائه والادب والادباء .

وغادر غوركي بعدها روسيا الى الخارج ليستمر في كفاحه ضد خصمه، ومن ثم عاد وكانت الحرب العالمية الاولى على الابواب. ومرة اخرى وقف غوركي ضد القيصر في حربه ضد المانيا. اخيراً اتيح لغوركي الظفر والانتصار. انتصر لانه سار مع الشعب ولان الشعب سار معه. وزال القيصر وحكمه عام ١٩١٧ واصبح غوركي الاديب الاول الذي يشار اليه بالبنان وتعرفه اوربا باسرها. وفي ١٩٢٨ ادخل الى الاكاديمية من جديد ، بعد ان طرد منها قبل ربع قرن . وقدر له ان يظفر وينتصر اخيراً بعد نضال طويل .

ومرت الاعوام ... طفل بقي له من السلطان ان يردد اسمه التاريخ في بضعة اسطر، وطفل اسمه في الادب على كل شفة ولسان .

طفلان ولدا في عام واحد، وتصارعا اعواماً طويلة في الشباب والشيخوخة . احدهما كان مع شعبه فقدر له ان يخلد وآخر تنكر لهذا الشعب ، فكان جزاؤه العقاب والزوال والنسيان .

لقد انتصر الادب اخيراً لانه كان مع الشعب .

دمشق — جلال فاروق الشريف

# عارف بالامور

بقلم سومرست موم          ترجمة الآنسة سميرة عزام

كنت مستعداً لان اكره ماكس كاليدا من قبل ان اعرفه . كانت الحرب حديثة الانتهاء حين سافرت بحراً من سان فرنسيسكو الى يوكوهاما . . وكان الضغط على السفن المسافرة عبر المحيطات عظيما فلم يكن من الهين ان توفق الى مكان في سفينة مسافرة الا اذا كنت مستعداً لاشراك كل من تلقيه الظروف في دربك من المسافرين في قمرتك . . ولقد غبطت نفسي بادىء الامر حين اكتشفت انني لن اشرك فيها اكثر من واحد . . ومع ذلك فقد ضايقني ان انام وغريب في نفس المكان خلال سفرة تستغرق اسبوعين ، وكان يمكن الا يكون تبرمي بهذا المقدار لو كان اسم رفيقي سميث او براون مثلا . دخلت الغرفة فوجدت متاع شريكي قد سبقني وسبقه ، لم اعجب بالمنظر العمومي للمتاع ، عشرات البطاقات قد الصقت على الحقائب ولم تكن احداها محكمة الاعلاق فبدت منها ادوات زينة الرجل : زجاجات العطر والمداجين فحكمت عليه بالميوعة .

وشعرت بانني لا احب مستر كاليدا . . واخذت طريقي الى غرفة التدخين وطلبت اوراق اللعب ورحت اسلي نفسي بلعبة فتح البخت ولم اكد ابدأ حتى طالعني رجل اتجه صوبي وقال : لعلي لا اكون مخطئاً لو قلت بانك فلان . . واضاف انا مستر كاليدا ثم ابتسم لي ابتسامة كشفت عن صفين لامعين من الاسنان وجلس بلا دعوة مني .

قلت له مجاملا : الست شريكي في القمرة . فأجاب :

ــ بلى لحسن الحظ . . ولقد سرني ان تكون انكليزيا فنحن الانكليز اصدقاء طيبون في السفرات .

ــ أأنت انكليزي؟ وكانت اللباقة تقتضني حين سألت فأجاب :

ــ طبعاً . . تراني ابدو امريكياً ؟ انني انكليزي في كل عظمة من عظامي . . وزيادة في التأكيد امسك الرجل جواز سفره وهزه في وجهي ، ولكن جواز السفر ليس بالدليل القاطع على كونه انكليزيا ، فما اكثر رعايا الامبراطورية وحاملي سماتها من غير الانكليز ، زد على ذلك قامة الرجل القصيرة وبشرته السمراء وانفه الافطس وشعره الاسود الاجعد كما ان لكنته لم تكن خالصة رغم سلامة لغته ، وكنت واثقاً من ان اقل تدقيق في جواز سفره كفيل بان يؤكد بان مستر كاليدا قد ولد في بلاد شمسها اكثر اشراقاً من شمس بريطانيا .

وسألني الرجل ــ اتشرب شيئاً ؟ . . ونظرت اليه متشككاً اذ كان شرب الكحول محظوراً ولم يكن ثمة دليل على ان في السفينة مكانا للشراب ، ولم ادر ما اقول فعندما لا اكون ظامئاً احار في ايها اكرع اكثر . . شراب الزنجبيل ام عصير الليمون .

ولكن كاليدا ابتسم في وجهي ابتسامة شرقية وقال :

ــ هل تأخذ وسكي بالصودا ام كونياك مارتيني ؟

ثم اخرج من جيبه زجاجتين من الشرات وضعها امامي على الطاولة فاخترت المارتيني ، وصفق صاحبنا للخادم وطلب وعاء من الثلج وكاسين .

قلت مجاملا . . كوكتيل طيب .

لدي المزيد بعد واذا كان لك اصدقاء من المسافرين اخبرهم

بان لدي ما يشاؤون من كحول العالم .

وكان كاليدا ثرثارا كما قدرت منذ اللحظة الاولى فراح يحدثني عن نيويورك وسان فرنسيسكو والفن والسينما ، والسياسة وكل شيء في الوجود . ولا انكر على الرجل هذه الالفة الواضحة في طبيعته ولكنني كرهت منه ان يغفل كلمة السيد حين مناداتي من اللقاء الاول . ولم اجب مستر كاليدا .

وكنت وضعت ورق اللعب جانبا حين دخل علي الرجل او قد شعرت بان حديثه قد طال معي فقد عدت الى الورق . وفي هذه المرة تطوع الرجل بارشادي الى كيفية التصرف بالورق .. ولم يكن ادعى الى غيظي من ان ارى احداً يفعل هكذا فانهيت اللعبة بعصبية ووضعت الورق جانبا فامسك به وقال :

ــ هل تحب حيل اللعب ؟؟

ــ قلت .. بل اكرهها .

ــ لا عليك . . ساريك واحدة منها .

واراني ثلاثة !! عندها نهضت واقفاً وقلت ساذهب فاحجز لي مقعداً في قاعة الطعام .

ــ اوه لا تتعب نفسك لقد دبرت الامر فحجزت مقعدين لك ولي .. على مائدة واحدة .

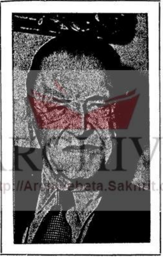
ولم اجب مستر كاليدا . اكثر . فاكثر . وليت الامر كان مقصوراً على النوم في قمرة واحدة والاكل على مائدة واحدة . . بل كان الرجل الزم لي من ظلي انى توجهت فهو معي على سطح الباخرة وهو معي في الصالون وهو معي . . في كل مكان . . ولم يكن من السهل على الرجل ان يقدر انه شخص غير مرغوب فيه بل على العكس لقد كان يحسب مرور الناس برفقته لا يوصف . كان فضولياً يدس انفه في كل شيء ، فعرف في الايام الثلاثة الاولى كل من على ظهر السفينة وعرف منهم كل شيء . كما تزعم كل حركة فنظم الحفلات الموسيقية والمباريات الرياضية .. وكان في كل مكان . وفي اي وقت .

ولم يجمع الركاب على شيء اجماعهم على كراهية كاليدا فاسموه العارف بالامور ولم يتحرجوا ان ينادوه به واغتبط هو واعتبر الامر اشادة بسعة اطلاعه .

وكان كاليدا اثقل ما يكون على مائدة الطعام فجدله لا ينتهي وما من احد يعرف خيراً مما يعرف هو او يفهم الدنيا كما يفهمها هو . فما يغلق باب نقاش في موضوع مهما كان سخيفاً حتى يجعلك تسلم بوجهة نظره . واحتمال وقوعه هو في خطأ امر لا يخطر له على بال مطلقاً ، وهو عارف بالامور كل الامور . . .

وكان رفاق مائدتنا الباقون : طبيباً سكوتيا وشخصاً آخر يدعى رامسي ترافقه زوجه الوديعة وكانت عقليتي انا شيئاً يختلف عن كاليدا فلا يجد امامه ازاء ترفعي وصمت الطبيب الا رامسي هذا فيروحان يتجادلان ساعات .

كان رامسي يعمل في السلك القنصلي الامريكي بمدينة كوب وهو سمين قصير ينحشر حشراً في ملابسه وكان في طريقه الى مقر عمله من نيويورك مصطحباً زوجه التي كان عائداً بها الى كوب بعد ان تركها في نيويورك طوال عام .



سومرست موم

كانت الزوج رقيقة طريفة بسيطة الثياب في اناقة يؤخذ الناظر اليها بمظهر اللطف والوداعة المتجليان على وجهها .

وفي ليلة وكنا على مائدة الطعام ، دار الحديث حول اللؤلؤ الصناعي الذي كان حديث الصحف في تلك الفترة . وقد قال الطبيب في معرض حديثه بان تصنيع اللؤلؤ كفيل بان يثير لونا من المضاربة العنيفة تؤدي باثمان اللؤلؤ الاصلي الى الهبوط .. هنا تصدى له كاليدا كالعادة وسفه رأيه وتبنى الموضوع وافرغ كل ما في جعبته عن اللؤلؤ ، واشترك معه في النقاش رامسي الذي لم يكن يفقه في الموضوع شيئاً ، الا انه كعادته هو الاخر لم يستطع السكوت امام حماس كاليدا فحمي وطيس الجدل بينهما ونجح رامسي في اثارة كاليدا فرايناه يضرب المائدة بقبضة يده ويصيح :

انني اعرف ما اقول . وانا الان في طريقي الى اليابان لاعمال تتعلق بتجارة اللؤلؤ وما من مخلوق يستطيع ان يسنه ما اقوله بهذا الشان فانا عارف باللؤلؤ اميز صحيحة من زائفه هذا اختصاصي .

وكان هذا جديدا علينا جميعاً فكاليدا رغم ثرثرته لم يشر من بعيد او قريب الى لون عمله لقد كنا نعرف انه يقصد اليابان اما لاي شأن ووراء اي غرض فامر لم يكشف عنه كاليدا الستار .

وادار كاليدا راسه يميناً ويساراً وابتسم في انتصار ثم قال .. مهما بلغ اللؤلؤ الصناعي قدراً من الجودة فلن يفشل خبير مثلي في تمييزه عن اللؤلؤ الحقيقي وهو مغمض العين . وثقي يا مسز رامسي ان تضييع اللؤلؤ لن ينجح في تخفيض ثمن القلادة الجميلة التي تحيط بعنقك سنتاً واحداً .

واحمر وجه مسز رامسي وامتدت يدها الى عنقها واخفت القلادة تحت ثوبها وضحك رامسي وقال : هل تعني هذه القلادة التي تلبسها مسز رامسي ؟

— اجل هي بعينها اذ لم تخف علي قيمة اللآلىء منذ رايت القلادة وعاد رامسي يقول بلهجة ساخرة : يسرني ان اسمع منك تقديراً لثمنها .

اجابه كاليدا انها تساوي في الاوساط التي تتعاطى تجارة اللؤلؤ خمسة عشر الف دولار اما اذا كنت ابتعتها من الـ Fifth Avenue فلن اعجب قط لو قلت بان ثمنها ثلاثين الفاً .. وازدادت ابتسامة رامسي اتساعاً وقال هازئاً .

— هل تدهش اذا قلت لك بان مسز رامسي قد ابتاعتها لقاء ثمانية عشر شلناً .

— وانفعل كاليدا وصاح هذا هراء ..

— اتراهن على مائة دولار .

— قد قبلت .

— وتدخلت مسز رامسي قائلة لزوجها لا تورط الرجل في رهان. فرد زوجها وهل ارفض مائة دولار تأتيني من اهون سبيل . لكن كيف السبيل الى اقناعه بمجرد شهادتي انا .

— وتدخل كاليدا قائلا اعطني القلادة فلن يشق علي قط ان اخسر مائة دولار.

وقال رامسي يحث زوجه .. اعطه القلادة يا عزيزتي وليتفحصها كما يحلو له . ومدت المرأة يدها الى القلادة وقالت باضطراب .. ليس من السهل نزعها .. لئن مستر كاليدا بكلامي وقفز وقال سانزعها انا .. وفك القلادة والقى بها لكاليدا الذي اخذها وتفحصها بامعان ثم ابتسم ابتسامة انتصار عريضة واعاد القلادة الى صاحبتها وفتح فمه الذي لا يكاد ينطبق ليقول شيئاً ولكن عينيه تسمرتا على وجه مسز رامسي الذي غدا ابيض اصفر كوجه من يوشك على الاغماء . وكانت تحدق اليه بعينين جزعتين فيهما ضراعة واضحة .

واطبق كاليدا شفتيه واحمر وجهه وبدا عليه انه يغالب في نفسه امرا ما ثم قال بوجوم :

لقد كنت مخطئاً فالقلادة زائفة والتقليد جد متقن ومد يده الى جيبه وسحب من حافظته ورقة من فئة المائة دولار وسلمها لرامسي دون ان يتفوه بشيء. فاخذها هذا وقال ..

— ايه ! هذا درس لك يحذرك في المستقبل من ادعاء العلم بكل شيء .

ولاحظت انا ان يدي مستر كاليدا كانتا ترتجفان .. وطارت الحكاية الى كل من على ظهر السفينة ووجد القوم فيها بادرة للتفكه على السيد العارف بكل امر والذي خانته معرفته .

في صبيحة اليوم التالي للحادث كنت واقفاً الى مرآة احلق ذقني حين سمعت صوتاً خفيفاً ورأيت شيئاً ما ينزلق الى الغرفة من تحت شق الباب فسارعت افتح الباب فما رأيت احداً وكان مظروفاً كتب عليه اسم ماكس كاليدا فحملته له، فاخذه من يدي قائلا ممن يكون ؟

وفضه ورأيته يسحب من المظروف ورقة من فئة المائة دولار ولم تكن هناك رسالة .

ونظر الي قليلا ورأيت الحمرة تصبغ وجهه ثم مزق المظروف بعصبية واعطاني القصاصات قائلا : هلا رميتها من النافذة .

والقيت بها ثم استدرت نحوه مبتسما وسمعته يقول :

— ما من انسان يرضى بان يجعل من نفسه مغفلا كبيراً الا انا .

— قلت اكانت اللآلىء حقيقية .

فاجاب .. طبعاً .. ولو كانت لي زوجة جميلة لما تركتها قط تحيا في نيويورك عاماً كاملا بينما اقيم انا كالمغفل في مدينة كوب .

وامسك بحافظة نقوده ودس بها ورقة النقد .

وللمرة الاولى شعرت بانني لا اكره مستر كاليدا ...

قبرص - ليماسول — سميرة عزام

# قلـق



لانور الجندي

الى الشاعر نديم محمد ... وآلامه ...

☆

أي شيء ينتابني في إكتئابي ؟
اي داء يعيش في جثماني ؟
اي شك يثير بي أحزاني ؟
اي حلم أسلمته للهوان ؟
اي ماض دفنت فيه الاماني ؟
لست أدري، ولا المقادير تدري
ايها السر ، كل همي سري

***

حيرة تملأ الفؤاد لهيبــا
وظــلام حسبته لن يئوبا
طاف بالقلب فاستثار الكروبا
وتجلى من الشفــاف ندوبا
وتساءلت في الدروب غريبا
لست ادري، ولا المقادير تدري
ايها السر ، كل همي سري

***

آه من وحشة تعذب نفسي
اقتفيها ، كأنما هي كأسي
كيف أنسى، وغربة الحلم تنسي
كل هم الا بقيــة حس
انا امشي وفي ضميري رمسي
لست ادري، ولا المقادير تدري
ايها السر ، كل همي سري

***

قلقي ! ثورة العــذاب المقيم
وانطــلاق المقيّد المحروم
هو كالنار ، كاللظى ، كالجحيم
يتغــذى من قلبي المحموم
وهمومي ، اما عرفت همومي؟
لست ادري، ولا المقادير تدري
ايها السر ، كل همي سري

***

لا تسلني ، هي الحياة شقاء
وغيوم ، مريبة ، دكناء
وازورار ، وخدعة ، ورياء
وزمان ، يضيع فيه الوفاء
فهو ، والحق ، والعلا ، غرباء
لست ادري، ولا المقادير تدري
ايها السر ، كل همي سري

***

أيها القلب ! خل عنك الذهولا
هل شفينا من الوجوم غليلا
اي معنى ، لمن يموت ذليلا ؟
قبل ان يلمح الشعاع الجميلا ؟
يغمر السفح ، والربى، والحقولا
لست أدري، ولا المقادير تدري
ايهـا السر ، كل همي سري

***

قلقي ..! فلتكن دماً ورعودا
كن زئيراً، كن وثبة كن وعيدا
كن كما شئت لن تحب العبيدا
أنت حطمت باليدين القيودا
وخلقت الحياة خلقاً جديدا
لست ادري، ولا المقادير تدري
ايها السر ، كل همي سري

***

قلقي .. واللهيب في شفتيا
كيف اصحو، وقد غضبت عليا
اتراني حبست صوتاً خفيا
حمل النور ، والربيع اليّا
لم امتــع بلحنه أذنيّـــا
لست ادري، ولا المقادير تدري
ايهـا السر ، كل همي سري

***

ويح نفسي . وفي الضلوع ارتياب
والقصور التي بنيت .. سراب
اين احلامي الرقاق الرطاب
والاغاريد، والهوى، والشراب
والعشيات ..؟ كلهن يباب
لست ادري، ولا المقادير تدري
ايها السر ، كل همّي سري

# في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت

استاذ في العلوم

## الباب السابع : ما وراء الطبيعة

الفصل الاول : الله والملائكة

لا نعني بقولنا : « ما وراء الطبيعة » هنا ما يقصدونه عادة من علم الـ Metaphysics الذي يرمي في اسطقسات Principles الوجود الاولى وما يتصل بها من اسرار المادة والجوهر والزمن والحيز والعلة والذات وغيرها ، او ما أراد به أرسطو من مباحث العقل التي وضعها في كتبه بعد مباحث الطبيعة حيث كان يسمي علم ما وراء الطبيعة بالفلسفة الاولية First Philosophy التي كان يعالج فيها دقائق الكون . . . كما اننا لا نعني بـ « ما وراء الطبيعة » علم اللاهوت او علم الكلام ، وانما نقصد به عالم الروح ، ان صح تعبيرنا هذا ، او كل ما بعد عن عالم الحسيات والمعقولات . وبكلمة اخرى : ما خالف المادة ومركباتها ، او ما جاوز الموجودات الطبيعية ، واختفى وراء الطبيعة .

ولما كان الموجود الاول هو منبثق الكليات والجزئيات في الفلسفة والدين ، فلنبدأ بذكر شيء مما كان يعرف عنه العرب الجاهليون . . عن الله عز وجل . . خالق الطبيعة وما وراءها .

### الله

غير الحنيفية ، واليهودية ، والمسيحية ، ضئيل الاثر جداً — هذا ان وجد — في اعطاء العربي الجاهلي فكرة «الله» ، وما تحمله هذه اللفظة من معان لا تختلف كثيراً في الجوهر عما نعرفه نحن حتى اليوم .

ومن الواضح ان تلك الفكرة لم تكن واضحة الا لجماعات وافراد قلائل ، اما الاكثرية ، وان سمعت بالله ، فانها كانت وثنية عبدة اصنام واحجار وظواهر وموجودات اخرى ، كما بينا ذلك واسهبنا في فصول سابقة .

ولا يشك في وجود كلمة « الله » في الجاهلية ، ففي القرآن والسيرة والشعر شواهد كثيرة وبراهين لا تقبل الرد على وجودها بمعانيها قبل الاسلام . ويكفي دلالة عليها « اسم عبدالله » . على انه يجب ان يلاحظ اننا لا ندري ما اذا كان هنالك — او لم يكن — معبود آخر بين مؤلفاتهم الكثيرة اسمه « الله » ، فيكون عندئذ « عبدالله » « كعبد قيس » و«عبد مناف» و« عبد شمس» . . ضاعت اخباره اما مع ضياع الكثير من الروايات ، لعدم التدوين ، وموقف الاسلام السلبي من الوثنية ، واما لعدم تمكن الروايات ذاتها منه . ومعلوم انهم كانوا يطلقون على اللات « الربة » ، وان كلمة « الاله » كانت تطلق ايضاً على الصنم ، كما ان المؤنث منها « الهة » كان يطلق على الشمس . وقد سبق معنا ان « الالهة » اسم من اسماء الشمس .

هذا ، ولربما كان مثل قول « مرجوليوث » من ان النبي أراد مرة ان يترك اسم الله الى غيره[1] حجة في ايدي من يظن انه كان هنالك معبود جاهلي بهذا الاسم .

و« الرب » ، كما هو معلوم ، من اسماء الله ، غير ان جمعه « أرباب » كان يطلق ايضا على اصنام العرب وآلهتهم . و« الربة » إلهة ثقيف .

وبديهي القول ان القرآن والسيرة هما اوثق المصادر التي يمكن ان يرجع اليها الانسان لتكوين فكرة عن الله في العصر الجاهلي ، او بالاحرى عن معرفة العرب الجاهليين بالله . ولكن القرآن والسيرة في نفس الوقت لا يحددان فكرة واضحة عن هذه المعرفة . فالقرآن ، مثلاً ، يعطينا فكرة الله كما يعرفها الاسلام ، اكثر مما يصور لنا هذه الفكرة عن الجاهليين الذين نخصهم بالذكر في هذا البحث .

---

1) Encyclopaedia of Religion and Ethics مجلد ٦ صفحة ٢٦٨

ولنقرأ قول امية بن الصلت :

الى الله اهدي مدحتي وثنائيا    وقولا رضيا لا يني الدهر باقيا

الى قوله :

حنانيك ان الجن كانت رجاءهم    وانت الهي ربنا ورجائيا
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى    ادين الها غيرك الله ثانيا ١)

ثم قول زيد بن عمرو بن نفيل :

اسلمت وجهي للذي اسلمت    له الارض طرا صخورا صثالا
دحاها فلما رآها استوت    على الماء أرسى عليها الجبالا
واسلمت وجهي لمن اسلمت    له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هي سيقت الى بلدة    أطاعت فصبت عليها سجالا ٢)

وكلا الرجلين كما تفيد الاخبار قد تأله ، وترك عبادة الاصنام، فلا بد وان يكونا متشربين بالتعاليم التي بثها اليهود والنصارى في بلاد العرب قبل الاسلام ، وما تبقى من تعاليم الحنيفية قبلها. ولا عجب ان يذكرا ، وغيرهما من الشعراء ، شيئاً عن الله، واليوم الاخر ، والجنة ، والحساب ، والعذاب ، ويشيرا الى الكثير من احداث العهدين القديم والجديد .

والحقيقة انه ليس لدينا ما يؤيد ان فكرة الله كانت في البدء غريبة بالكلية عن الوسط الجاهلي ، ثم دخلته ، وانتشرت به عن طريق ممثلي الاديان في بلاد العرب . اما الكلمة نفسها « اله » ففي الاصل — كما يرى البعض — سامية من ايل «IL» التي تعطي نفس المعنى . وكذلك « رب » فهي — كما يقولون — متخذة من العبرية ٣) وتعطي في التوراة معنى العربية حيث تأتي Rab بمعنى العظيم ، و Rabbi بمعنى سيدي ، كما تأتي كالعربية تماما بمعنى النقيض لكلمة عبد ٤) . وفي العبرية ايضا توجد «El» و Eloha و Elohim مرادفة لكلمة « اله » العربية و «God» الانجليزية ٥) .

وليس بعيداً ان تكون الكلمة في الاصل غريبة عن العربية ، فالكلمة « يهوه » — Yhwh — نفسها ، كما يظن ، لم تكن معروفة بين العبرانيين قبل موسى ، ولهذا يؤكد البعض ان الاسم على الاقل — ان لم يكن المعبود نفسه — كان من اصل اجنبي ٦) .
اما العرب فتقول ان «الله» اصله إلاه على وزن فعال بمعنى مفعول

---

١) ص ٣٦ - ٣٧ ج ١ : البداية والنهاية لابن كثير
٢) السيرة لابن هشام : ص ١٤٨
٣) Enc. of Rel. & Eth. مجلد ٦ ص ٢٤٨
٤) The Jewish Encyclopaedia مجلد ١٠ ص ٢٩٤
٥) » » مجلد ٦ ص ١
٦) » » مجلد ٦ ص ١٣

( كامام ) لانه مألوه ، اي معبود — هكذا يشاء اللغويون — فلما ادخلت عليه الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته في الكلام . وجوز سيبويه ان يكون اصله « لاهـا » . ثم انهم يستخرجون له جذراً ، كعادتهم في الاسماء ، فيقولون ان اصله من أله يأله الهاً بمعنى تحير ، لان العقول تأله في عظمته او بمعنى اشتد جزعه عليه مثل وله ، او بمعنى لجأ اليه لان الله هو المفزع الذي يلجأ اليه . ويذكرون لذلك قول الشاعر :

ألهت الينا والحوادث جمة

او قول الاخر :

ألهت اليها والركائب وقف١)

هذا ، وليس بغريب على العربية ان تكون اللفظة من اساسها اجنبية عنها ، وانها ربما كانت هي نفسها أصلًا للجذر « أله » خلافاً لما يدعون من انها مشتقة من هذا الجذر .

ولعل اهم المعاني التي كانت تحمله فكرة الله وتتنذ السيادة ووجوب تقديم العبادة اليه . ولقد جاء في القرآن الكريم على لسان فرعون : « يا أيها الملا ما علمت لكم من اله غيري ، فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين »٢) والاية هذه تعطي ما كان يقصد بالاله الذي يطلق على موجودات حية وغير حية تقدس فتعبد . وبهذا ترقى الى مرتبة الالوهية ، كما يطلق على خالق الوجود ومسبب الحياة الدنيا والعليا ، وان كان بعض الجاهليين لا يعتقد — كما بينا سابقاً — بالبعث والنشور وبدء حياة جديدة بعد الموت . وقد جاء في اللسان بهذا المعنى ان « الاله الله عز وجل ، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً اله عند متخذه . والجمع آلهة . والالهة الاصنام سموا بذلك لاعتقادهم ان العبادة تحق لها واسماؤها تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه »٣)

وبعد هذه الكلمة الموجزة نتقدم الى عرض الكلام عن اقرب المخلوقات الى الله ، وهم سكان السماوات أو :

## الملائكة

هم الملأ الاعلى او سكان السماوات . ان تحدث عنهم في الارض فانما هم نازلون من اعلى عليين . ولهذا طلب قوم من قريش الى النبي في اوائل دعوته ان يكون الرسول ملكاً او ينزل عليه ملك من السماء يأخذ بيده ، كما جاء في الكتاب : « ما لهذا الرسول يأكل الطعام

١) راجع لسان العرب ج ١٧ ص ٣٦١ ٢) القرآن الكريم س ٢٨ آية ٣٨ ٣) لسان العرب ج ١٧ ص ٣٥٨

ويمشي في الاسواق لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيراً »١)

والاية هذه تدل دلالة واضحة على وجود الملك في عقلية الجاهليين ، ولا اظن انه اختلف عما عرفه الاسلام فيا بعد ، لان المصدر الذي استمدوا منه معلوماتهم عن الملك يكاد يكون واحداً .

والملك ، مجموعاً ، ورد في قول امية بن ابي الصلت :

وكأن برقع والملائك حوله٢)

لا بل كان يعرف من صفات الملائكة ما عرف النبي نفسه فيا بعد . ومما يروى ان النبي قد تعجب من بيت لأمية جمع به صور حملة العرش من الملائكة فقال :

رجل وثور تحت يمنى رجله والنسر لليسرى وليث ملبد (٣)

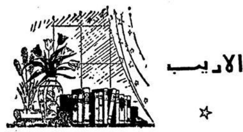
وعن ابن عباس ان النبي قال : صدق امية في قوله ٤) .

هذا ولا يوجد في القرآن وصف او اشارة الى المادة التي نشأ الا خلق منها الملك ، لا بل ورد قوله تعالى : « وما يعلم جنود ربك الا هو » ٥) ، وذلك بخلاف الانسان والجان حيث جاء في القرآن الكريم : « خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار »٦) . والمارج هي النار الصافية الخالصة من الدخان٧) .

ويؤثر عن عائشة ان النبي قال : خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار٨) . وكذلك ابن عباس يرى ان الملائكة خلقت من نور واسكنت السماء ، والجان خلقت من النار عينها واسكنت الارض . وهو يقول ايضاً : « ان الله خلق الفلك وخلق تحته بحراً من نار لا دخان لها ، وخلق نوعين من الملائكة : خلق من لهبها نوعاً ومن جمرها نوعاً فالذين خلقهم من لهبها (ويقصد نورها) سماهم الملائكة ، والذين خلقهم من جمرها سماهم جانا »٩) .

وينقل القاسمي عن المضنون الكبير للغزالي قوله : « الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بانفسها مختلفة بالحقائق اختلافا يكون بين الانواع » . وعن الاحياء : « والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير ، وافادة العلم ، وكشف الحق ، والوعد بالخير ، والامر بالمعروف ، وقد خلقه وسخره لذلك . والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر ، والامر بالفحشاء

١) القرآن الكريم س ٢٥ آية ٨ ٢) لسان العرب ج ١٢ ص ٣٨٦
٣) عجائب المخلوقات للقزويني : ص ٥٦ ٤) الاغاني ج ٣ ص ١٩٠
٥) القرآن الكريم س ٧٤ آية ٣٦ ٦) القرآن الكريم س ٥٥ آية ١٣ - ١٥ ٧) تاريخ الخميس للديار بكري ج ١ ص ٣٧
٨) انوار التنزيل للبيضاوي ج ١ ص ٥٢ ٩) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦



**الاديب**

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوءها شهر
يناير، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

**الاشتراك العادي :**

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

**اشتراك الانصار :**

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً او ٦٠ دولار كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس، شارع الكروشية

تليفون { الادارة : ٩٢ / ٤٧ — المنزل : ٣٧ / ٤٨

Tél. { Direct. : 92 - 47 — Dcle, : 48 - 37

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**
سكرتير التحرير : **محمد يوسف نجم**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان


والتخويف عند الهم بالخير بالفقر »١)

واذا ما اختلف المفسرون في حقيقة الملائكة فانهم اتفقوا بالاكثرية على انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل بصور مختلفة. ولقد لخص القزويني النظر في الملائكة فقال : « زعموا ان الملك جوهر بسيط ذو حياة ونطق وعقل . والاختلاف بين الملائكة والجن والشياطين بالحقائق كالاختلاف بين الانواع . وذهب بعضهم الى ان الاختلاف بينهم كالاختلاف بين الكامل والناقص وبين الخير والشر . واعلم ان الملائكة جواهر مقدسة عن ظلمة الشهوة وكدورة الغضب لا يعصون الله ما امرهم، ويفعلون ما يؤمرون، طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس، وانسهم بذكر الله تعالى، وفرحهم بعبادته . خلقهم الله تعالى على صور مختلفة واقدار متفاوتة لاصلاح مصنوعاته واسكان سماواته.»٢)

وقد يستدل من القرآن ان الملائكة خلق مجنحة . والاية : « الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع »٣) تدل دلالة واضحة على ذلك . والكثير منهم جميل الصورة جداً حتى لا يستطيع الانسان او الملائكة الاخرى ان تنظر الى نور حسنه الاخاذ، فيضع برقعا او يُغَمّي وجهه باحد الاجنحة لهذا الغرض . والفن الفارسي لم يجرؤ على اظهار ملامح الامام علي « وبقية الائمة »، فكان وجهه، دائما، مغطى بقناع وذلك للاعتقاد الناشيء في فارس خاصة بانه لا يمكن للحاضرين ان يتحملوا تألق نوره ... اما اذا تمكنوا فانهم غير جديرين بهذه النعمة ٤).

وضرب المثل بجمال الملك . وافصل بينة على ذلك ما جاء على لسان النسوة اللواتي لمن امرأة العزيز على مراودتها يوسف عن نفسه . فقد جمعتهن الاميرة واطلعت يوسف عليهن فقلن : « حاش لله ما هذا بشراً ان هذا الا ملك كريم »٥) .

على ان هذا النوع من الملائكة لا يمكن ان يكون كجبريل ذي الستمائة جناح . روي عن النبي انه سأل جبريل ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك، قال اني احب ان تفعل . . . فخرج الرسول في ليلة قمراء فأتاه جبريل في صورته فغشي عليه . . . ثم افاق فقال ما كنت ارى ان شيئاً من الخلق هكذا، فقال جبريل : فكيف لو رايت اسرافيل ؟ له اثنا عشر جناحا، جناح في

---

١) مجلة المقتبس(١٩١٠)ص١٧٩، ١٨٠ ٢) عجائب المخلوقات ص٥٥
٣) القرآن الكريم : س ٣٥ آية ١ ٤) Asiatic mythology ص٤٩
٥) القرآن الكريم : س ١٢ آية ٣١

المشرق وجناح في المغرب وان العرش على كاهله . . وانه ليتضاءل احيانا لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع ١) . امـا الوضع فهو العصفور الصغير .

والملائكة تتمثل بصور مختلفة . ومما يدل على هذا الاعتقاد ما جاء في السيرة : « ومر الرسول ( صلعم ) بنفر من اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة ، فقال : هل مر بكم احد؟ قالوا يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله ( صلعم ) : ذلك جبريل ! بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم »٢) .

وقيل ان جبريل تمثل لابي جهل بفحل من الابل٣) . ويقول ابن كثير ان جبريل كان يأتي النبي في صفات متعددة ، فتاره في صورة دحية بن خليفة الكلبي وتارة في صورة اعـرابي وتارة في صورته التي خلق عليها٤) .

وفي حنين وبدر ظهرت الملائكة في صور مختلفة تحارب مع المسلمين ضد الكفاره) .

وكما تمثل جبريل لمحمد بصورة دحية الكلبي ، كذلك كان قد اتى مريم من قبله في صورة آدمي شاب وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق ، لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئا٦) . ولقد جاء حديث ذلك في سورة مريم :« واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً ، فاتخذت من دونهم حجاباً ، فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » (٧) .

اما الآية : « والملك على ارجائها » (٨) — اي على ارجاء السماء — فتدل على كثرة عدد الملائكة الذي لا يحصى ، كما تدل الاخبار والاحاديث . روي عن ابي ذر قول النبي : « اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون . اطت السماء وحق لها ان تئط ، ما فيها موضع اربع اصابع الا عليه ملك ساجد . . . » ٩)

ولقد اشرنا الى القول ان الملائكة لا يعرفهم غير خالقهم ، الا ان صاحب الشريعة — كما يقول القزويني اخبر بعضهم وهم الملائكة المقربون . ولهذا نرى ان من المفيد تلخيص مـا جاء في « عجائب المخلوقات » عن هذه المخلوقات لتصوير فكرة قديمة عن الملائكة . فمنهم :

١ — حملة العرش : — اعز الملائكة . وهم ، كما ذكرنا ، على صور مختلفة . وقد قال تعالى فيهم : « والملك على ارجائها ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ١) . وقال ابن عباس : وهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله تعالى بأربعة .

٢ — الروح : — كل نفس من انفاسه تصبح روحاً لحيوان وهو موكل بادارة الافلاك وحركات الكواكب .

٣ — اسرافيل : — قدماه تحت الارض السابعة ورأسه عند قوائم العرش !. فكيف لا يكون اهول من جبريل ؟ وهو نافخ الارواح ، ومدبر الاوامر .

٤ — جبريل : — امين الوحي ، والروح الامين وافضل الملائكة . وهو وان كان ، كما يظهر ، اضعف من اسرافيل واقل حجما ، الا انه كما قال فيه تعالى : « ذي قوة عند ذي العرش مكين » ٢) . ويكفيه قوة انه رفع قرى قوم لوط بجناحيه ، وصعد بها حتى سمع اهل السماء صياح ديكهم ، ثم قلبها !!

٥ — ميكائيل : — موكل بالارزاق للاجساد ، والحكمة

---

١) الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٢١١ ٢) السيرة لابن هشام ٦٨٤ ـ ٦٨٥ ٣) السيرة لابن هشام ١٩١ ، ٢٥٨ ٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٤٠ ـ ٤١ ٥) السيرة ٤٥٠ ، ٤٦١ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٨٤٩ ٦) الكشاف ج ٢ ص ٤ ٧) القرآن الكريم س ١٩ آية ١٦ ـ ١٨ ٨) القرآن الكريم س ٦٩ آية ١٧

٩) مسند ابن حنبل : المطبعة الميمنية ـ مصر ١٣١٣ : ج ٥ ص ١٧٣ وقد جاء في عجائب المخلوقات ص ٥٥ : قال صلعم : « أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها قدر شبر الا وعليه ملك راكع او ساجد »

١) القرآن الكريم س ٦٩ آية ١٧ ٢) القرآن الكريم س ٨١ آية ٢٠

والمعرفة للنفوس ... وهو ان فتح فاه لم تكن السماوات في فيه الا كخردلة في بحر ! وهو لو اشرف على اهل السماوات والارض لاحترقوا من نوره .

٦ — عزرائيل : — مسكن الحركات وفاصل الارواح عن الاجساد ، له اعوان بعدد من يموت . وهو رفيق بأهل التوحيد يقبضهم في حريرة بيضاء مغموسة في المسك . واما اهل الكفر فيشاله في سربال من قطران . وهنالك قصة صداقته لسليمان نغض النظر عنها لضيق المقام .

٧ — الكروبيون : — تنبىء احاديث النبي عنهم انهم خلق لا يعرفون الا العكوف في حضرة القدس والاستغراق في التسبيح ليلا نهاراً لا يفترون .

٨ — ملائكة السماوات السبع : — يسبحون حتى قيام الساعة ، فاذا قامت ، يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك . وهم في السماء الدنيا على صور البقر ، وفي الثانية على صور العقبان ، وفي الثالثة نسور ، والرابعة خيل ، والخامسة حور عين ، والسادسة ولدان ، والسابعة بنو آدم ! ! موكل بهم على الترتيب الملائكة : اسماعيل ، ميخائيل ، صاعديائيل ، صلصائيل ، كلكائيل ، سمحائيل روبائيل . وفوق السماوات السبع ملائكة اخر لا يعرفون بعضهم لكثرتهم يسبحون الله بلغات مختلفة كالرعد الصاعق !

٩ — الحفظة : — وهم الكرام الكاتبون ، الموكلون بتسطير افعال الانسان . قال الله تعالى : « كلا بل تكذبون بالدين ، وان عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » ١)

١٠ — المعقبات : — ينزلون بالبركات ويصعدون بارواح البشر واعمالهم ليل نهار .

١١ — منكر ونكير : — ملكان فظان غليظان ، يحاسبان المرء في قبره بسؤاله عن ربه ونبيه ...

١٢ — السياحون : — يسيحون في الارض ويغشون مجالس الذكر ، ويرفعون ما يشهدون الى الله ، وهم غير الحفظة .

١٣ — هاروت وماروت : — وقد مر عنها الحديث في كلامنا عن العزى او كوكب الحسن التي اغرت حتى الملائكة كما شاهدنا بذلك الاعتقاد بتركيب شهوة الجسد حتى في صلب الملائكة .

١٤ — الموكلون بالكائنات : — وهؤلاء شأنهم اصلاح الكائنات ودفع الفساد عنها . يقوم بعضهم بهندسة جسم الانسان اثناء نموه بالتغذي ١) .

وليلاحظ ان القزويني في هذا الوصف العام ، انما وافق بين ما جاء في القرآن والسنة ، وما عرف عن ارسطو والافلاطونية الحديثة ... مستهدفاً ما يرمي اليه في كتابه من رسم صورة للعالم المخلوق في دقائقه واعاجيبه . ولا بدع ان الكثير من هذه المعلومات الاسلامية كالفلسفية والمسيحية والثنوية والوثنية ٢) . وبها الكثير من الاسرائيليات حتى ان ابن كثير يرى ان حديث هاروت وماروت بالجملة خبر اسرائيلي مرجعه الى كتب الاحبار . ويقول ايضاً : « وقد ورد في قصتها وما كان من امرهما آثار كثيرة غالبها اسرائيليات » ٣) .

وليس غريباً ان يؤخذ ممن ذكرنا بعض المعلومات، وقد احتك بهم الجاهليون منذ عصور خلت . وكيف لا تكون هذه الاخبار وامثالها غريبة في البدء عن الوسط الجاهلي ، والكلمة «ملائكة» الاصلية انما هي جمع تكسير — يقول مكدونلد — للكلمة السامية القديمة « ملأك » بمعنى رسول ٤) . وليس بعيداً ان نكون اخذناها عن العبرية . والتخفيف في العربية معروف . وهل اسهل من نقل «ملأك» الى «ملك» ؟ ، والجميل انك اذا استشرت اللسان وجدت ان ابا عبيدة انشد قول رجل من عبدالقيس، جاهلي، يمدح ملكاً فيقول :

فلست لانسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب٥)

فاللام في « ملك » كانت ساكنة فحركوها بنقلهم اليها حركة الهمز . فاذا جمعوه ردوا في الجمع الهمز الاصلي، فقالوا ملائك وملائكة .

واقرب من ذلك ما جاء في تفسير الطبري من ان اصل الملك « الرسالة » كما قال الشاعر الجاهلي عدي بن زيد :

أبلغ النعمان عني ملأكاً انه قد طال حبسي وانتظاري٦)

وهذا ما يوافق تماما قول مكدونلد ان كلمة « ملك » العربية سامية قديمة «بمعنى رسول» اتخذناها عن اللغة العبرية .

**محمود الحوت**

---

١) القرآن الكريم س ٨٢ آية ٩ — ١٢

١) عجائب المخلوقات ص ٥٥ — ٦٣ ويراجع البداية والنهاية ج ١ ص ٤٠ — ٥٠ وهنالك في القزويني ( على هامش الدميري ) فصل زائد عما في نسخة وستنفلد تتعلق بصور من ذكرنا من الملائكة وملابسهم .

٢) Enc. of Islam : مجلد ٣ ص ١٩٢

٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٤٨

٤) Enc. of Islam مجلد ٣ ص ١٨٩

٥) لسان العرب ج ١٢ ص ٣٨٦

٦) تفسير الطبري ج ١ ص ١٥٢

# الاجنحة المحترقة

☆

محمد فوزي العنتيل

من رابطة النهر الخالد

•

القاهرة

حبيب نأى .. وحبيب هجر .. وقلب باشواقه يستعر
ودنيا خلت من فتون الجمال فعشت بها طائراً يحتضر
يطير به شوقه للصباح وتهفو اغاريده للسحر ..!
يحن الى رفرفات الغصون تعانقها قطرات المطر
تقبلها خفقات الزهور وتنشرها في حنين النهر
يحن الى إلفه المستهام ... الى قلبه الواجف المنتظر
.. الى روضة في رحاب المروج .. الى عشه في جفون الشجر
.. الى جنة فوق صدر الغدير تداعبه رائعات الصور
.. الى زورق من اغاني الطيور ، الى جدول من عبير الزهر
.. الى موكب من عذارى النجوم تواثبن في الافق مثل الدرر
مبعثرة الضوء .. عبر التلال تتوجها بنثار الشرر
.. الى رقصة .. في رفيف الغمام مجنحة كالنسيم العطر ..
الى ضجعة في ذراع المساء .. الى رشفة من شفاه القمر
الى ليلة عمرها قبلتان .. تصفق في قلبه المنتظر ..
يمد جناحيه عبر الفضاء فيجذبه يأسه المنتحر
ويلوي به العاصف المستبد ويغمره الوابل المنهمر ...
فينفض ريشاته القانيات ويهوي على ضعفه المنكسر
جريح الاماني .. غريب الخيال اسير الدموع .. شقي العمر ...
.. فيا طائراً قيدته الشجون وغاله حزنه المستتر
خمائل حبك .. فوق الضفاف تفيء اليها قلوب البشر
مغلفة بالهوى .. والشباب مضمخة بالربيع النضر
وهذي اغاريدك الحانيات غصون تهدل منها الثمر ..
وازهار دمعك للعاشقين يرف بها الشاطىء المزدهر
وافراح قلبك بين الرياض رؤى عازف مستهام الوتر
وانت غريب تشد الحياة جناحيك فوق اللظى المستعر .
ذبحت لياليك بين الظنون واحرقتها في لهيب الفكر
فلا تبكها .. مات عهد الدموع وذاب على امسها المندثر ..
قتلت زمان الهوى .. والمراح فهل كنت الا شهيد القدر ؟
وصاغ لك القيد .. عسف الحياة وظلم الزمان .. فاين المفر ؟

# الـزواج الابـدي

الى اخي بدر الديب

بقلم عبد الغفار مكاوي




**انا** لا اذكر مما حدث شيئاً . كل ما ادريه انني عدت الى بيتي في قريتنا البعيدة . اكانت عودتي بعد عشر سنين او بعد عشرين سنة ؟ لست ادري ، كل ما اذكره انني عدت الى بيتي ، بعد غربة طويلة . كانت زوجتي قد خانتني مع رجل آخر . كنت مكدود النفس ممزق الفؤاد . فعدت الى بيتي ، لارتاح على صدر امي ، لامزج انفاسي المشتعلة بالغضب بانفاسها المعطرة بالمحبة . نعم ! عدت الى بيتي !

كان علي ان ادق الباب دقاً عنيفاً . فقد كنا في عمق الليل . والظلمة من حولي تلف النائمين : البيت . واهلي والجيران . الا نباح كلب بعيد . . عند طرف القرية الغربي . . ونقيق ضفادع تقفز قفزعشواء . . على شاطىء الترعة القبلية .

— مين . . . مين ؟ كان علي ان اكرر قولي «انا» وان ارفع من صوتي تماماً . حتى يعلو . لكأنما كان ينبعث من جوف بئر قديمة .

عرفت صوت امي وهي تكرر السؤال قبل ان تجد الشجاعة على فتح الباب . فقد كنا في عمق الليل . والظلمة تلف النوم والنائمين . وعرفت وقع قدميها — كان فيهما قبقاب قديم — وهي تهبط درجات السلم الخشبي ، وتحدث من حولها ضجة تكاد ان تؤنس خوفها . وعرفتني امي ، وغيبتني بين احضانها ، وعصرت وجهي بقبلاتها الطويلة . انا احب امي ، وهي تحبني ، كانت تنصل بيننا هوة عميقة من بعد الزمن ، فعبرناها . تعانقت روحانا في هذا القرب الجميل ، بعد ان غبت عنها عشر سنين او عشرين سنة . اني لا اذكر تماما .

قالت لي امي وهي تعطفني اليها ، وتتحسس عظام ظهري البارزة بيديها : — بالسلامة يا ابني . . بالسلامة عدت .

نعم يا امي . . جئت انشد الراحة .

ومست شعري الاجعد ، كانني طفل صغير ، وترقرق صوتها كالماء :

— لم تتغير كثيراً . . لم تتغير .

وتلفت أبحث عن مرآة ارى فيها وجهي ، فلم اجد . وهتفت بي :

— ولكن لم تقل لي متى وصلت قريتنا ؟

— في قطار الليل يا امي .

— في قطار الليل ؟ . . . ولكن كيف . . كيف ؟

— جئت في قطار الليل الاخير . . والساعة الان هي التاسعة والنصف . انظري .

— الم تلتق بها في طريقك ؟

— من ؟ لم ار احدا .

— ولا على المحطة . . .

فاطرقت بوجهي الى الارض وانا اقول : «لم يكن احد في انتظاري» وجذبتها من يدها وانا اتضاحك . لم التفت اليها وهي تهمس : ولكنها لم تعد . . لم تعد . كنت ادير عيني في وجهها ، لم تتغير امي كثيراً ، شعرها ما يزال كما كان . . الا شعيرات بيض تتوجه ثلوج بيضاء في غير اوانها . . وعيناها تبرقان ، كما رايتهما في آخر مرة . . وان اصبحتا كشمعتين ساهرتين على جسد ميت ، في غرفة مظلمة . وصوتها ما يزال يلمع كالفضة . وان سرت فيه بحة خافتة . . و . . لكنها تمتمت قائلة : كيف لم تعد الى الان ؟ . . كيف لم تعد ؟ .

لم اكن اعرف عمن تتحدث .

قلت لها وانا اتحسس بجدران بيتنا : هيا . . هيا اريني البيت ، حجرة حجرة . . . لن تغمض عيني قبل ان تراها . لا تغفلي منها شيئا . .

وسرنا معاً نطوف بالغرف ، الى اليمين غرفة مظلمة فيها ولدت في الساعة التي ينحسر فيها قناع الظلمة عن وجه الفجر ، لم املك ان اطأها بقدمي ، اكتفيت بأن واريت الباب ونظرت من خلاله كان هناك ثمة اثاث متروك ، يرقد مثل حطام رجل عجوز مقعد ، وعبرنا ممراً ضيقاً ، وطلعت على سلالم لا اذكر عددها واستوثقت من مواضع قدمي . كنت اسير في بيتي — لا شك في ذلك — فها هي امي تسير الى جانبي ، وفي يدها شمعة اهتدي بها وكأنني اضرب في قصر التيه ، اسأل عن كل شيء . كنت اهتدي مع كل خطوة الى شعوري المفقود ، واعيد بناءه . كانت ذاكرتي كهذه

الغرفات المظلمة ، فانا ادع شعاع النور ينفذ اليها . قالت لي امي هامسة : « هس ! اخفض من صوتك . » ونظرت حوالي ، كان ثمة باب مفتوح ، ورجل عظيم ممدد على سرير نحاسي اصفر ، يتصاعد شخيره العالي ، وتحرس جسده شمعة . قالت لي امي انه ابوك ، انظر اليه ، ونظرت ، كان مثل بطل عظيم من ابطال اثينا . وفي الجانب البعيد من السطوح كانت غرفة صغيرة ، قلت في نفسي : لا شك ان هذه هي غرفة الدجاج والبط ، فهرعت اليها وانا اغالب ضحكي ، ولكن امي لحقت بي كأنما فررت من يديها ، ووجدتها تصرخ في اعماق الليل : لا تقترب .. بالله عليك .. لا تقترب منها !.

جمدت حركتي امام الباب الخشبي كتمثال من الشمع ، انه مغلق بقفل حديدي ضخم ، والصمت يحرسه ، ولم اكد اسأل امي التي ابعدتني عن البـاب حتى سمعنا الباب الخارجي يفتح ، ووقع اقدام على السلالم الخشبية . من الطارق الجريء يا ترى ؟ وامي لا تجيب ، الا من بسمة غامضة فوق شفتيها الذابلتين . انا ان كنت في وعيي ، فأنا اعرف اهلي تماماً ، فالباب الخارجي مكتوب عليه اسم ابي ، على لافتة نحاسية كبيرة ، وامي الى جانبي ، لا يمكن ان تكون امرأة اخرى تشبهها ، فهكذا عرفتها من قديم ، ودمي يحدثني بأنها امي . نعم ! لا يمكن ان يكون ما اراه وهماً ، وانا اعرف ان احداً لا يسكن بيتنا غيرهما ، فأنا ابنها الوحيد . من الطارق الجريء يا ترى ؟ اما انا فجريت الى السلم ، واستندت على سوره الاعلى ، كان شبح امرأة يتدحرج صاعداً على السلم ، وحين وصلت الى الدرجة التي اقف عليها مددت ذراعي نحوها ، اردت ان اقول لها من انت ؟ اردت ان اتملى في وجهها لاعرف من الغريب لكنها لم تحاول حتى ان ترفع وجهها لتراني ؛ مرت من امامي صامتة كما دخلت . عبرت بامي التي قالت لها : هل عاد زوجك ؟ والمرأة تجيبها : لم يعد بعد .. سوف يأتي في قطار الغد . ثم سارت الى غرفتها ، ففتحت قفلها ، واغلقت الباب من خلفها ، واضاءت المصباح .

اما امي فتناولت يدي وهبطت بي درجات السلم ، وحين جلسنا معاً في الغرفة المواجهة لغرفة ابي قالت لي امي : انت الذي فعلت كل هذا ؟

— ولكني لا اعرفها . — الذنب ذنبك .

واطرقت لحظة رفعت رأسي بعدها وقلت : من هذه المرأة الغريبة ؟

وكان ان عرفت منها كل شيء . تذكرت المرأة التي طرقت بابنا ذات يوم طرقاً وحشياً . ففتح لها ابي ، سمعته يهدر في وجهها ويقول لها ان ليس لديه لها عمل ؛ وجريت لارى المشهد ، امرأة تكاد ان تكون في سن الشيخوخة ، راكعة على قدمي ابي ، تطلب منه عملا ؛ لها عينان زائغتان ، ووجه بارز العظام ، ويدها اليسرى مشلولة فهي تترنح على الدوام . اما امي فكانت جالسة امام الفرن تصنع لنا الخبز ، واللهب في طاقاته يئز ازيزاً ، والعرق يتصبب من وجهها الاحمر ؛ واسرعت امي تهدىء من ثورة ابي . وكان ان دخلت هذه المرأة الغريبة بيتنا ، خادماً تساعد امي التي كانت ما تزال وحيدة ، لا تجد احداً يعاونها .

وتذكرت هذه المرأة التي ما كادت تدلف من الباب ، وتجلس قبالة امي ، تناولها العجين حتى انتابها شيء عجيب : جحظت عيناهـا فانبعث منهما بريق عجيب ، وارتعشت اطرافها ، وتقلص جسدها كله — حتى حسبنا ان الارض زلزلت من تحتها ، ثم ارتمت على الارض باكية صارخة ؛ وظلت تتقلب على جنبيها ، وتتمرغ على الارض ، وتعفر وجهها بالتراب ، وتحفر الارض بأظافرهـا ، كانت تتقلص وتتخلج ، ويتصلب جسدها كانه لوح من الخشب ، وكان يخرج من فمها صوت مبهم كانه عواء كلب . اما امي فقد اصابها دوار ، واتسعت عيناها ؛ واما ابي فحاول ان يلقي عـلى المرأة المـاء البارد عساها ان تفيق ، واما انا فقد عرفت فيما بعد ، حين تعلمت في الجامعة ، ان المرأة كانت مصابة بالصرع ، وانه لم يكن لهذا المرض من شفاء ، ورحمنا هذه المراة حين افاقت مـن غشيتها ، واحترسنا منها حين كانت تعاودها النوبة القاسية مرة في الاسبوع او في الشهر ، وتعودنا على هذا المشهد الغريب منها حين تضرب الارض ، وتاكل التراب ، وتعض جسدها ، ولم يعد لنا من هم الا ان نبحث لها عن الشفاء .

اما العجائز من النسوة ، اللاتي استشارتهن امي فقد وصفوا لها اخلاطاً عجيبة من الدواء ، فلم تفلح . والعرافون الذين لجأنا اليهم نظروا في فناجينهم ، وحضروا العفاريت ، واخذوا الاثر ، والنوبة لا تنفك تلح على المراة العجوز ، التي صرت احبها كامي .

واما انا فخطرت على بالي الفكرة الهائلة . وما لبثت ان نفذتها في الحال . لا ادري حتى اليوم كيف طرات على ذهني ، ولا اعرف حتى الان في اي كتاب قرأتها ، مع انني لم اكن قد قرأت (فرويد) ولا سمعت باسمه . لم اكن غير صبي شقي ، تخطر على ذهنه الفكرة فلا يستريح حتى ينفذها ، ليس للمراة الا سبيل واحدة للشفاء ، فلم اتردد .

تسللت ذات صباح الى المراة العجوز ، وكانت تكنس الحجرات اقتربت منها وقلت لها : ام مخيلة .. لماذا لا تتزوجين ؟

رفعت راسها ، وثبتت عينيها المفتوحتين في السماء ، وارتعشت يدها المشلولة رعشة شديدة ، فأعدت عليها السؤال ، ولكنها لم تجب ، بل التفتت الي ، كأنها تعتب علي ، ورايت دمعة تتساقط من عينها الذابلة . لن انسى قط — وانا الان رجل عجوز — انها بكت امامي . فقد عجبت كيف يمكن لمثل هذه المراة ان تعرف البكاء .

اما انا فتضاحكت . وربت على كتفها . وهمست في اذنها : لقد وجدت العريس !

فاختلج جسدها . لا بد انها صدقتني . فقد بدات تطمئن الي والا لما راحت تسالني من يكون ؟ وما لون شعره ؟ وعينيه ؟ وما شكل وجهه ؟ وماذا يعمل ؟ ومتى ياتي ؟ اما انا فتصنعت الجد . كنت اتحدث بصوت غليظ كصوت الرجال ، واعقد ما بين حاجبي واتكلف لهجة السادة الاغنياء . قلت لها انني سآتي به اليوم . وما عليك الا ان تضعي الحناء ، وتصبغي يديك وقدميك ، وتستعدي لليلة الزفاف :

ولم اخلف ، وعدي ، فقد اصبحت حياة المراة في يدي تجربة اريد ان اعرف نتيجتها . وماذا كان يمكن ان يحدث من صبي مثلي يحب المخاطرة ، ويريد ان يجرب كل شيء ، حتى المصير ؟ !

وطرت الى حقل ابي . هنالك كان عدد من الاجراء الذين يفدون على القرى في موسم القطن ، ويجمعون الدودة . كنا نسميهم « البشالوة » . وكنا اذا راينا جماعاتهم تجوب شوارع قريتنا بحثا عن الطعام او المأوى نجري وراءهم هاتفين : الخمسة بقرش ! ولم يكن ايسر على الواحد منا ان ينفح «بشلاويا » باجر يزيد على اجره اليومي حتى يمثل الدور الذي يطلبه منه خير تمثيل . كان اسمه سيد ولقد وعدته بعشرة قروش ؛ اعطيته نصفها على الفور وقلت له : ابسط يا عم ... ستصبح عريساً !. سالني وهو يفتح فمه ويحك راسه الصلعاء بيديه : عريساً .. ؟ قلت : نعم .. لليلة واحدة !!

وشددته من يديه وسرنا معاً الى بيتنا في القرية وانا اقفز من الفرح كانني كسبت غنماً كبيراً . وفتحت لي امي الباب ، وسالتني مدهوشة عن الشاب الغريب الذي جلبته معي . فقلت لها وانا ابعدها بيدي : انه عريس احضرته معي ! وضحكت امي كثيراً كما لم تضحك في حياتها ابداً حين اخبرتها بقصة ذلك الزواج وضربت كفا بكف وهي تعجب لشقاوتي التي لم يرزق بها احد من خلق الله . ولكنها قالت — كما لو كانت ترى المستقبل بقلبها — ولكني اخشى على ام محظية من هذا الزواج ؟!

وجذبت العريس من يده فسار ورائي وطلعنا الى السطوح حيث تسكن ام محظية في حجرة كنا نحبس فيها الدجاج والبط ، وناديت باعلى صوتي فخرجت ام محظية ، بعد ان اطلت علينا من وراء الباب ورفعت ستارة بيضاء لاادري من اين اتت بها ، ولا كيف ثبتتها على باب حجرتها المتداعية . قلت لها وانا ارفع من صوتي والوح بيدي في الهواء : ها هو العريس ! هه ! لا تنظري اليه هكـــذا !!

وحاولت المراة ان تحجب وجهها بطرف جلبابها . واطرقت برأسها ، فاقتربت وجذبت « سيد البشلاوي » من كتفه وقلت لها ولكني لا اتركـكما وحدكما . سوف يحضر اليك في الليل ، بعد ان ينام كل من في البيت . اليس كذلك يا سيد ؟ قل لهـا ان تستعد لليلة الزفاف !

ثم تركاها والفرحة تكاد تطفر من عينيها . اما سيد « البشلاوي » فكان اسرع مني وهو يهبط على السلم . ويتلفت وراءه بين الحين والحين كانه افلت من فخ محكم . ولما خرجنا الى الشارع قال لي اين اجرتي يا عم ؟ فاخرجت له من جيبي خمسة قروش كنت قد اقتصدتها مع الجهد .

وفي صبيحة اليوم التالي سمعت امي تنادي ام محظية وايقظتني وقالت لي : انظر ما حدث لها اليوم . لم تصح مع الفجر كعادتها اصعد اليها ونادها :

وطلعت اليها وبي شوق الى معرفة ما حل بها : لا شك انها ستكون غاضبة اذ تبينت كذبي : وناديت عليهـا : رفعت من صوتي فلم يجبني احد ورحت ادق الباب بعنف حتى سمعتها تتحرك

نحو الباب : قلت لها بعد ان اطلت من وراء الستارة المضحكة : هه الم تستيقظي بعد ؟ ثم اردفت في لهجة ماكرة : الم يصح زوجك بعد :

فاجابتني في جد : لقد استيقظ من نومه منذ قليل :

— والى اين ذهب ؟ سافر الى القرية المجاورة .

— ومتى يعود ؟ — سيعود في قطار الليل .

— الليل ؟— نعم .. في الساعة التاسعة .

وفتحت الباب . واستطعت ان ارى يدها المشاولة مخضبة بلون الحناء . وابتسمت وهي تغلق الباب من خلفها . قلت لها وانا اضحك : هه .. ها انت قد تزوجت . فاجابت في هدوء : الحمدلله لقد تزوجت !

لا شك ان هذه المرأة مجنونة . الامر كله مزاح فكيف تصدقه ولكن ؟ أأكون انا المخطيء . كيف لا اصدق عيني ؟ قالت لي امي انك قد تركت النار تأكل جسدها وروحها .. وسافرت . ها انت تعود بعد غربة طويلة . ولا تدري عنها شيئاً . نحن الذين تعذبنا من بعدك . قلت لها : ولكن كيف تعذبت ؟

قالت امي وصوتها المبحوح يختلج في حلقها : لقد خرجت في تلك الليلة الى المحطة . كما قال لنا جيراننا الذين شاهدوها هناك . انتظرت حتى اتى قطار الليل ، وافرغ ما فيه من المسافرين . كانت تسأل كل من تجده في طريقها : «الم تر زوجي ؟ الم تر زوجي ؟» ولما لم يكن من اهل القرية يعرفونها او يعرفون زوجها فقد كانوا ينظرون اليها طويلا . ويبتعدون عنها هاربين .

وحين عادت الى البيت في تلك الليلة باكية تلقيتها بين ذراعي . كانت تبكي كما لا يمكن ان تبكي امرأة في الوجود . نعم يا ابني . أنا التي تحملت ذلك العذاب كله . وانت تعرف مشاركة النساء لبعضهن . فبكيت معها . قلت لها لا تحزني . سوف يعود في الغد اذهبي اليه وستجدينه في قطار الليل . وسوف يقفز من القطار اليك اويعتذر اليك عن تأخيره . قلتها كلمة عابرة وليتني ما قلتها . فما كنت احسب انها ستصبح قاعدة ساوكها مدى عشر سنين او عشرين سنة .

قلت وانا احبس انفاسي : كيف حدث هذا يا امي ؟ فقالت مؤكدة : اني جادة كل الجد .

— اكانت تخرج كل ليلة ؟ — الى المحطة .. تنتظر قطار الليل وتسأل المسافرين عن زوجها الذي لم يعد .

— وريح الليل الباردة — في الشتاء — تأكل عظامها ؟

— نعم .. نعم هذا ما كان يحدث .. لقد عرفها ناظر المحطة وعرفها من بعده ثلاثة نظار آخرون شغلوا هذه الوظيفة من بعده .. وعرف جنود الحراسة مشيتها فما يسألونها الى اين هي ذاهبة .. كلهم عرفوا حكايتها .. واما انا فقد كبرت هذه المرأة في عيني ، عرفت عاطفتها ، فاحترمتها ، واكبرتها ، لم اسيء اليها يوماً ، ولم اسخر بها . انا التي تحملت ذلك العذاب كله ..

قلت وانا اضع راسي في يدي كل هذا وانا لا ادري ! قالت امي وهي تدعوني الى النوم شفقة علي من متاعب السفر : لقد رأيتها بنفسك .. عادت بعدك بقليل .. بعد ان فات القطار الذي جئت فيه . قلت وانا اغمض عيني : نعم .. نعم ... قالت امي وهي تتثاءب : ارأيت مثل هذا الزواج ؟

فقلت وانا اسحب الغطاء على وجهي : انه زواج ابدي .

***

انا ما زلت لا أعرف مما حدث شيئاً ، حين انفرد بنفسي اقول ربما عاد سد البشلاوي حقاً اليها بعد ان غنا ، ولكن هذا التصور محال ، والا فكيف انكر عقلي ؟ ان الامر كله كان مزاحاً ، وكنت اقدر له ان ينتهي في ساعة ، فكيف به يستمر عشر سنين او تزيد ؟ ان سيد لم يكن يستطيع ان يهتدي الى بيتنا بعد ان ينام اصحابه ، ولغير سبب ، او اعزو ماحدث الى «الايحاء» الذي عرفت به حين كبرت ؟ كيف تبلغ قوة الايحاء هذا المبلغ ؟ لو كانت عقيدة من العقائد لتغيرت او لامحت من الوجود — الزمان الطويل قادر على ان يغيرها ويمحوها . انا الان احاول ان اريح نفسي . اقول لها ان ذلك سر يربط نفوس البشر ، ويكبر على التفسير ، سر وراء العقل ، من هذه الاسرار التي تملأ علينا فراغ المكان ، وتهوم من حولنا ، وتهبط على نفوسنا في لحظات نادرة منا من يستسلم لها كأنه متصوف ، ومنا من ينكرها ...

نعم .. نعم .. انا لا احاول ان افسر ما حدث ، كفاني اني احسست به .. واني تابعت المرأة المجنونة .

احترمت جنونها ، ورحمته ، واكبرت عاطفتها للرجل الذي رأته مرة واحدة فارتبطت معه بهذا الزواج الابدي . ولم اتبرأ من الذنب الصغير الذي ارتكبته ذات يوم .

كل ما اذكره اليوم — يا قارئي — انني حين عدت الى المدينة جمعت حولي اطفالي الصغار ، وضممتهم الى صدري ، ودفنت رأسي بين يدي لاخفي فيها دموعي ، وذكرت زوجتي الخائنة التي هربت مع رجل آخر ، وتركتني وصغاري وحدنا . فقلت وانا انشج : اين لي مثل هذا الزواج .. اين .. اين ؟ !!

القاهرة — عبد الغفار مكاوي

# اسطورة

تخطري . تخطري كرفة الحنين
كدمعة حزينة في مقلة الحزين
تخطري وناغمي رواسب السنين
في مهجة جديبة حصادها انين
تعيش في وحدتها كدمعة السجين

تخطري . وارجعي لوكره الضياء
ففيه قد تجعدت ملاحن الصفاء
وهومت بركنه برودة الشتاء
وحومت بأفقه هواجس المساء
ومات في بسمة السرور والرجاء

تخطري . . كهتفة عميقة القرار
تنام في رجيعها هناءة النهار
وتحمل الحنين من تذكر الديار
لتوقظ الجوى على فؤاده المثار
لمرتع مقدس تحجبه البحار

تخطري . . في الدجى تبرعم الصباح
والبلبل الصدوح لا تسكته الجراح
فوكره منقل فسحته البطاح
وعمره يحمله في رفة الجناح
وجرحه يلهمه ترنيمة المراح

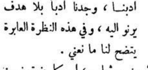
تخطري . . تخطري كحالم الغيوم
لترسم السماء في قاوبنا النجوم
لتسبح الزهور في غديرنا السموم
لترتمي صريعة اسطورة الهموم
لأنت في خيالنا النديم والكروم

**القاهرة** **كمال نشأت**

من رابطة النهر الخالد

# نكسة الادب

بقلم رضوان ابراهيم





**هل** الادب غاية من غايات الحياة ينتهي اليها الاديب، كاتباً او شاعراً او قصصياً ؟ او هو وسيلة لا بد وراءها من غاية يفضي اليها الاديب عن طريق ادبه؟

وهل لادبنا اليوم هدف واضح يسعى اليه، حتى نقول انه انتهى او لم ينته اليه، او نقول انه في طريقه الى الغاية، او انحرف عن الطريق ؟

هل له غاية خارجة عن ذاتيته يمشي اليها مسرعا او متمهلا؟ او انه يخبط على غير هدى، ويسير في غير طريق، ويهدف الى غير غاية .. كالتائه في الصحراء، لا هو متخذ طريقا ولا واصل الى غاية، ولا الصحراء ترحمه من وقدها او زمهريرها، حتى يستحيل كتلة من الاعياء والضنى ؟

واخيرا.. هل لهذا اللون من الفن عندنا رسالة يمكن ان تجيء تالية لمشخصاته زائدة عن الحلية والمتعة والسرور ؟؟

هذه اسئلة متشعبة النواحي، مختلفة الاجابات، وليس من همي ان اجيب عنها، ولا ان تكون اجاباتها سلبا او ايجابا، فقد لا يتفق عليها اثنان. ولكن اكبر الظن ان الادب خاصة، والفن في عمومه مهما كان غاية في حد ذاته، فليس هو الغاية الكبرى.

ويخيل الي ان الادب لذات الادب، او ما يدعونه الفن للفن لم يعد له مجال في هذه الفترة العملية من حياتنا التي يخضع كل شيء من اشيائها لقانون التجربة، ويحيلها جميعا الى مبدأ النفع.

لقد كان الادب مسلاة ومتعة ودعابة. مسلاة الفارغين ومتعة المتبطلين، ودعابة تتفكه بها مجالس المترفين يوم كانت حياة الناس فارغة راكدة بسيطة لم تتعقد مطالبها ولم تتشابك مطامعها.

اما اليوم.. فما عاد الادب دغدغة للعواطف، ولا ترفا ينعم بانغامه المتبطلون، ولا حبلا يرقاه بهلوان، بل اصبح فنا ساميا يدفع الى حياة اسمى، ولا بد له من مهنة يحترفها، بدل ان يتسكع بابواب المترفين يستجديهم او يسند اليهم، اصبح سيدا في موكب المجتمع، لا عبدا في ركاب الفردية الطاغية.

واذن فلا بد له من هدف، لانه — كبقية الفنون — اذا لم يكن له هدف عملي يسعى اليه، وغاية مثلى يعيش لها، ويعمل لتحقيقها، يوجه اليها قارئه في كل جملة، وفي كل سطر، ويبثها في ثنايا تعابيره، وبين سطوره واذا لم يكن له هذا الهدف فهو غير جدير بالبقاء، ولا هو جدير باسم الادب الحق، وليس من حقه ان ينسب الى طائفة الفن الجميل مهما سما، وهو من تلقائه يذوي، ويضمحل، ويفنى، غير تارك سوى آثار اقدام على رمال الشاطيء لا يلبث المد ان يمحوها.

على ان رواد النقد ينكرون ان يكون الادب ادبا ما لم تكن له غاية، حتى انهم يتلمسون وراء كل لون من الوانه غاية يحملونه اوزارها راضياً او مكرهاً، حتى ولو لم يكن يقصدها اصلا. يؤكد احدهم ذلك حين يقول: «يجهل الاديب حق امره اذا ظن انه لغير المجتمع يعيش..

.. لا سيادة للادب الا ان يعرف الادباء ان مكانهم مع القادة والزعماء، ولن تنتهي اليهم مقاليد الامور الا اذا كانت لهم الصرخة الاولى والكلمة السابقة، وعاشوا للمجتمع من حولهم ثم لفكرة ينضحون عنها، وكان لهم مع هذا ايمان واقدام، ثم نفوس كبيرة لا تباع ولا تشرى».

اذا نظرنا في هذا الضوء الى ادبنا، وجدنا ادباً بلا هدف يرنو اليه، وفي هذه النظرة العابرة يتضح لنا ما نعني.

فادباء اليوم فئتان: شيوخ وشباب، او كما ينعتونهم: منتهون ومبتدئون.

فاما المبتدئون فانهم يكتبون لمجرد الكتابة فحسب، لا يعنيهم من ذلك الا ان تظهر اسماؤهم وتلمع بين عشية وضحاها يشرع احدهم قلمه وفي ظنه ان اول كلمة يخطها لا بد ان تبهر العالم، وتظفر باعجاب الملايين، وكأن هذه الملايين محشورة في ميدان تنتظر اول كلمة تخرج من شقي هذا القلم لتتلقاها هاتفة مصفقة !!

غرور ما بعده غرور.. لكنه غرور محبب، لانه غرور الشباب السابح في الاحلام الحلوة والاماني الجميلة والمترددون على ادارات الصحف يشاهدون الركام الذي يتكدس في سلال رؤساء التحرير، ويشاهدون على اثرها سيلا من العتاب المترفق الهادىء حيناً، والعنيف المر احياناً، لان هذه الصحف ضاقت بعبقريتهم، ولم تجد في انتاج هذه العبقرية ما يغريها بتبديد

مساحات من الورق وكميات من الحبر في هراء تافه ، بالرغم من اعتزاز هؤلاء بانتاج قرائحهم المتوقدة .

واما الشيوخ فمن الميسور لمن يطالع انتاجهم ان يقرأ المكرر المعاد مما سبق ان اذاعوه من آرائهم او من آراء غيرهم مما لم يحسنوا صياغته ولا تنسيقه وان شكلوه في اساليب مختلفة لم تخف استغفالهم لجمهور قرائهم الذين وثقوا فيهم ، فهم ما زالوا يعيشون على فتات موائد القدامى او العباقرة من الادباء العالميين .

والآفة المتمكنة فيهم هي حمى الترجمة التي يسطون بها على آراء ادباء الغرب فيدعونها مهما كانت غريبة على مجتمعاتنا .

أليس من المؤسف ان ينشر بعضهم كتباً قديمة بعناوين جديدة ، ولا يستحي ان يقول انه يكتب من الذاكرة ، فاذا ذاكرته تخونه ، واذا هو يردد آراء بعض الناس ينسبها لنفسه واذا هو يعيد ما كتبه سابقاً في مؤلفاته ؟ !!

.. وان آخر يكتب في الصحف فيقول للناس اليوم مـــا قاله بالامس بحروفه ، وكأنه يرى ان الشرق « كل شيء فيه ينسى بعد حين » حتى ولو كان مكتوباً في الصحف ؟ !!

هذه مصيبة حقاً ، ولكنها كبيرة لانها مصيبة الكبار وليست الا واحدة من المساوىء .

اما مصيبة الصغار فليست صغيرة ولا هينة ، لانها تكبر وتتفاقم كلما تقدم بهم الزمن ، وفقدوا القيادة الرشيدة الموجهة ، وانبعثوا يتخبطون على غير هدى ويومئذ لا يجدون مناصاً من ان يتعالوا ، ويتكبروا ، ويتيهوا بجهالتهم لا بعلمهم ، ويومئذ لا نجد مناصاً من ان نوليهم الزعامة بعد ان اضمحلت الارض وصوح نبتها ، وهذا هو البلاء العظيم .. ان يتولى الجاهلون مقاليد الادب ، وهكذا لن يخلف الآباء السادرون الانانيون الا ابناء متهافتين متهالكين .. لن يخلفوا وراءهم الا لعنة تتعقبهم ، لانهم تركوا الميدان من غير ان يستخلفوا عليه جيلا اميناً يحمل اللواء ، متقدماً الى الامام .

***

تلك هي النكسة المتخاذلة التي اصابت الادب فعوقته عن الطموح الى مكانته الجديرة به بين الفنون الجميلة ، واخفتت صوته حتى ما عاد يسمع منه الا حشرجة تئن وتتأوه ، ونحته عن مكانته في القيادة والريادة والتوجيه .

وكذلك يضرب ادبنا مثلا تعساً في التهافت والتخاذل والتمييع بين آداب الامم ، لا تبقى له مشخصات تضمن له الخلود

من قوة ذاتيته ، ولا من جلال موضوعه ، ولا من يد يمدها للانسانية ، ولا من دعامة يهديها الى المجتمع .

ومن هذا يذوي ادبنا ويضمحل ، لأنه يبتعد عن محيط الحياة ، وتتسع الهوة بينه وبين المجتمع .

على ان المجتمع في شرقنا العربي مادة دسمة غنية بالعناصر الصالحة لتغذية الادب، وامداده بدم قوي دافيء يشيع الحرارة في هذه الجثة الهامدة، وهو تربة خصبة لنبت طيب كريم ينمو في ذراه ويترعرع .

والمجتمع الشرقي كذلك محتاج اشد الحاجة الى الادب يضع مشكلاته المعقدة العديدة على مشرحة الحقائق ، ويسلط عليها اضواءه الوهاجة ، ويجيل فيها يد البحث والفحص والتحليل ، ويعرض جوانبها المختلفة متقصياً وجوه الرأي في حلها باسلوب الفن الشاعري الجميل .

فكل شبر من ارضنا ، وكل نفس يترددفي اجوائنا ، وكل خطرة تختلج في افكارنا ، وكل صلة بين افرادنا وجماعاتنا ، وكل وشيجة تربط افراد هذا المجتمع او تصله بالعالم الخارجي ، وكل مقوماتنا المعاشية والفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية والثقافية .. زراعتنا وصناعتنا واقتصادنا . كل هذه ميادين جديدة للادب ، وكلها محتاج اكبر الحاجة الى يد الادب تتناوله رفيقة رقيقة ، تمسح بأناملها على مشكلاته ، وتتدسس الى حناياه وتجيل الرأي الناجع فيه ، وتطب لأدوائه .

وهذه المقومات تسرع بمجتمعنا في طريق التطور والتحور سرعة يدفع بعضها بعضاً ، ويلاحق آخرها اولها ، وهي كذلك في حاجة الى الادب يسجل هذه التطورات ويتـــابعها خطوة خطوة ، والا ظل – كما هو – متخلفاً عن ركب الحضارة ، فلم توانه القوة ليجدد نفسه ، ويسرع مع الحياة حتى يقوى ويشتد وتصبح له شخصية تتماسك في خضم التيارات المتعاكسة .

ما بال قصصنا واشعارنا وكتبنا وصحفنا تتخلف عن ركب الحياة ، وتعيش في جو اناني ، لا هو عالمي ولا هو شرقي ولا هو محلي ، وانما هو عالم يتثاءب خدراً ونعاساً ، ويترنح كأنه يرقص في ضباب ، فلا تبين شخصيته ، ولا تتضح ذاتيته، ولكنه يرسم صورة باهتة الظلال ، مضطربة الحدود ، طامسة المعالم ؟؟

كم من العلل والامراض والمشكلات والاضطرابات النفسية والقلق الفكري يغمر مجتمعنا ، فيقيم فيه او يلم به ! !

كم من هزة اجتماعية واقتصادية وسياسية زلزلت كيان بلادنا !! كم من ثورة انبعثت في ارجاء اوطاننا ، وتردد دويها بين الجنبات المترامية !! كم من صيحة اصلاحية انطلقت في افقنا ثم خفتت !! كم من هبة قامت ثم قعدت !! كم .. وكم !!

وتفقدنا صوت الادب الحر يساند الحق ويدفع عنه ، او يصرخ في وجه الباطل ويقتص منه ، فلم نسمع ، ولم نبصر !!

اكذلك نحن .. لا نسمع ولا نبصر ، ام هو الادب التاعس الخدر المهوّم في الاحلام ؟؟

كم قصة عالجت في صراحة وجرأة مشكلات الفلاح والعامل او عاونت في الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني دون ان تجعل من كل ذلك صوراً للمتعة والزينة ؟ ؟ كم كتاباً تدسس الى اطواء هذه المشكلات فطرحها للحل اوطب لادوائها من الكتب التي يتبناها الادب ؟؟ كم ملحمة سجلت احداثنا المحلية او العربية او الشرقية ، او تحدثت عن صراع الشرق مع الطغيان والاستغلال والاقطاعية ؟؟ كم مأساة صورت كفاحنا ضد الغاصب ، وما قدمنا من ضحايا على مذبح الحرية ،وما ازجينا من قرابين في سبيل الكرامة؟ الشرق العربي يسبح في دماء ابنائه منذ قرون ، فأين السجل الادبي الخالد لهؤلاء الابطال ؟ ؟ !

الادب ممنوع من تناول السياسة ، لان الساسة لا يعترفون بالادب ، والادباء لا يأبهون لواقع السياسة !!

والادب محظور عليه ان يتسلل الى الاجتماع ونظم المجتمع ، لان التقاليد العتيقة ، ونظام الطبقات تحرم ذلك ،وتزعج الاقطاع !!

والادب محرم عليه ان يتناول المشكلات المحلية ،لان ذلك يثير الضعفاء ، ويغريهم بالاقوياء !! والادب غير جدير بأن يتقدم الثورات ، لانه اضعف من ان يحرك المشاعر ، وغير جدير بان يدفعها الى الامام ، ولان الفساد اقوى منه !! فماذا بقي للادب بعد ؟؟ !!

ماذا بقي للادب الا ان يكون احلام اليقظة تتلاعب بأخيلة الادباء ، وتتركهم يعيشون في اوهام مريضة ، يتلهون بها عن واقع الحياة ؟

هذه اخيراً الثورات التي تحالفت فيها القوى الشعبية الجارفة مع قوى الجيوش المعتدة على كفاح الظلم ، وفضح الطغيان ، وكشف الاشباح التي تلعب اصابعها في ظلام الجهل وتحت استار الغفلة ...

وهذا التطور المبارك في عقليات الجماهير التي عرفت اخيراً ان الجيوش من صميم الشعوب . وهذا التحول في عقليات القوى

# مدارس الشعب العالية

بقلم ذوقان هنداوي

يعتقد الباحثون في اصول الديموقراطية الدانماركية وجذورها انها تنبعث من مصدر ازلي يمدها بالقوة والحياة ، ويهيء لها اسباب التطور والنماء لتبقى حية منبعثة تسير ابداً الى الامام . ويكاد يجمع هؤلاء على ان «المدارس الشعبية العالية» The Folk High Schools تمثل ذلك الينبوع الفياض الذي « حقق اسمى تجربة تربوية ناجحة لتثقيف المواطنين اليانعين وتزويدهم بالديموقراطية الواعية التي لم نعهدها بعد في بلادنا : ارض الانجليز » كما يقول سير ريتشارد ليفنستون – عميد التربية الانجليزية الحديثة – في كتابه « مستقبل التربية » .

فاي نوع من المدارس هذه ؟ ومـا هي المبادىء التي تسير عليها ؟

لا يستطيع الباحث في تاريخ المدارس الشعبية وعلمها ان يجهل او يتجاهل اول من بشر بها ودعا الى انشائها ، لان اسمه يلتصق بها حتى الوقت الحاضر : انه (جرونوي) ١٧٨٣-١٨٧٢ او « نبي الشمال » كما يسميه الاسكندنافيون ، لان النبوة ، في نظرهم ، صفة يتسم بها من اتسعت مواهبه وملكاته فاستطاع فعل ما يشبه الخوارق والمعجزات ... واي معجزة اعظم من ان يجمع جرونوي بين الشاعرية الملهمة التي لم تترك « نهراً ولا اكمة ولا شجرة في بلاد الدانمارك ، ولم تدع معنى من معاني الحق والخير والجمال والوطنية والانسانية الا وصاغت لها اعذب الالحان » ...

وبين « فن التأريخ » الذي تجلى فيما حوته موسوعاته الطوال حول تاريخ العالم باسلوب يجمع بين موضوعية العلم المجرد وروح الفنان الملهم ، وبين الشغف بدراسة الادب والتعمق بتحقيق آثاره حيث يبدو ذلك واضحاً في شروحه المستفيضة للميثولوجيا الاسكندنافية ، وفي ترجمته لعيون الادب الانجلوسكسوني ،



---

المسلحة التي كانت تباهي وتعيش في دعة ورفاهية .

وهذا الوعي المتدفق المتوثب في اقطار الشرق . . هذا التحول ، وهذا التطور في عقليات الجماهير غفل عنه الادب ، ولم يستطع ان يتناوله ، حتى من ظواهره ، يعرض مساوئه او محاسنه . . لماذا ؟ ؟

لان الادب لم يعد قوة فنية تفرض سلطانها على اشياء الحياة واحداثها ، ولم تفلح ان تنسجم مع خطاها ! !

واذا ما احتج الادب بتخلخل الثقافة وتخلفها في الشرق ، فتلك جريرة تقاعسه ونكوله عن صفوف النهضة ، لان نشر الثقافة من اول واجباته ، فهو ان تخلى عنها كان جانياً جنايتين والجناية الثالثة ان يتخلى عن الميدان فيتركه لهذا الغثاء الرخيص الذي يسمى باسم الادب ظلما ، ويجتاح السوق ويطغى سيله على العقول والقلوب والاخلاق حتى يقهر الادب الحق ويضطره الى الانزواء كما تطرد العملة الزائفة العملة الصحيحة .

ولم يبق الا المال الذي ينهض نقصه معذرة لنكوص الادب عن قافلة النهضة ، والمال لم يكن كل شيء ولا اي شيء في الانتاج الادبي الذي خلفه لنا القدامى ؛ والذي نراه بناء متماسكا في تراث الامم على تفاوت الزمان والمكان .

واذن فلا يلوم من الادب الا نفسه على ما ناله من عنت وما ابتلي به من وكس في سوق الثورات الناهضة في ارجاء العالم العربي فالبقاء دائما للاقوى .

ولكن هل من الحق ان للادب بعض العتب على الادباء اولا وعلى المجتمع اخيرا ؟ ! !

فما المعاذير التي تنهض للدفاع عن تراخيه اذن ، وتخلفه عن الطليعة ، وقنوعه بالصفوف الخلفية ؟

القاهرة — رضوان ابراهيم

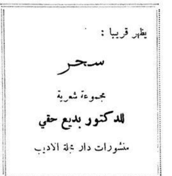
كملحمة « بيولف » الى اللغة الدانماركية ، والى جانب هذا كان جرونوي عالماً دينياً ، حصل على اجازته الجامعية في العلوم اللاهوتية ، واستمر في دراسة الانجيل وتفسيره واعياً للحرية الدينية باوسع معانيها ، في وقت كانت مثل هذه الدعوة تعتبر ضرباً من ضروب الزيغ والالحاد .

على ان جرونوي يعترف في احدى كتاباته انه ما طرق دراسة هذه الفنون ، او بعضها على الاقل ، الا لعلها تعينه على الوصول الا الحقيقة التي لم يجدها في حياته الجامعية ، ولا في ثقافتها الارستقراطية اذ خرجته الجامعة « بليداً » ، فاقد الشعور ، لا يحس ولا يعي » بعد ان قذفته المدرسة الثانوية « فظاً ، تائهاً ، لا يدري الى اين يتجه او يسير » ...

ويستمر جرونوي قائلا : « .. ورسخ في يقيني عندئذ ان الجامعة وسابقتها المدرسة الثانوية ليست بالاماكن الصحيحة للتربية الصحيحة التي ينبغي ان تؤهل المرء لفن الحياة ولتحمل المسؤوليات الضخام ، كفرد انسان من حقه ان يحقق ذاته ، ويفجر مواهبه وامكانياته ، وكعضو في مجتمع من واجبه ان يقدم له ما يدفع بالحضارة الانسانية وبالمعاني النبيلة صعداً الى القمة » .

ترك جرونوي العاصمة كوبنهاجن وما يمكن ان تدر عليه من خيرات — لو اراد ان يستغل ثقافته الجامعية — ورحل الى الريف الدانماركي عله يجد ضالته بين صفوف الفلاحين الذين اخذ يختلط بهم ويعيش بينهم كأحدهم ، محاولا اكتشاف اعمق خصائصهم وحاجاتهم . وهنا ، فقط ، بدأت الحقيقة ترسل اشعتها اذ توصل جرونوي الى ان « الخير لا الشر ، والنور لا الظلام » هي الصفات الاصيلة المميزة للانسان ، وان الطبيعة امدت الفرد بطاقة عظيمة من الخير لا تحتاج الا لوسط مناسب كي تظهر وتنطلق ، والتربية الصحيحة هي الوسط الصحيح المناسب . وبما ان التربية الجامعية والثانوية ، كما عهدهما جرونوي ، اعجز من ان تقوما بهذه المهمة ، اخذ صاحبنا يدرس وينقب ويبحث : درس آراء « روسو » التربوية ، وتأثر بنظريته القائلة بان التربية ينبغي ان تكون حرة مطلقة من كل قيد ، ثم انحرف الى دراسة الفلسفة الالمانية ، فقبل القليل من آراء « فيتشه وهردر » ونبذ كثيرها ، كما اعجب بشعر «جوته وشيلر» وما يحويان من معان نبيلة سامية . وبعدها ، رحل الى البلاد الانجليز حيث عقد المناقشات الطويلة مع علماء التربية هناك ، فاقتبس قليلا واعطى كثيراً .

على ان الاحداث التي تمخضت عنها الحياة السياسية في بلاد الدانيمارك في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، كان لها اكبر الاثر في تكوين نظريته التربوية بشكلها النهائي ، والبدء بالتبشير بها : رأى اليأس والانحلال الخلقي الذي تردى فيه الدنماركيون بعد انكسارهم في الحروب النابليونية ، فكتب « فيليبيانه » الحانقة الحاقدة على اولئك الذين انغمسوا في حياة اللهو والملذات ، زاعمين ان الوطن لن يصحو من كبوته ، فعليه السلام . اوضح لهم جرونوي أن انكسار روحهم المعنوية كان نتيجة حتمية لنقص في تربيتهم الاساسية التي ينبغي ان تثقفهم بمسؤولياتهم في السراء والضراء على السواء . ثم سمح ملك الدانيمارك بانشاء مجالس استشارية من النبلاء ورجال الدين والفلاحين تعاونه في شؤون الحكم ، اعقبها عام ١٨٤٩ بمنح اعظم دستور ديموقراطي في بلاد العالم . هلل الدانماركيون لهذه الاصلاحات الدستورية وكبروا جميعاً ، الا جرونوي الذي اخذ يكتب ويحاضر ويناقش بان ديموقراطية الدستور لن تعمل ، ما دام الفلاحون — مادة المجتمع الدانماركي وغالبيته — لا يفقهون معنى الدستور وماهيته ، ولا يستطيعون الافادة بما يمنحهم من حقوق ، وما يحتمه عليهم من واجبات ، لان التعليم — بالرغم من جبريته منذ عام ١٨١٤ — كان ارستقراطياً ، يتمشى على اسس بالية تهدف الى تخريج « انصاف متعلمين » اشد ضرراً من الاميين ... وطبيعي ان تشن الطبقة الارستقراطية حملة عنيفة على جرونوي ، كانت تكفي لقتله لو لم يكن مسلحاً بتلك الحجج الدامغة والآراء التربوية الصائبة التي اعلنها ، داعياً للاخذ بها ، مما اخرس ألسنة الخصوم ، اذ ماذا يتعلم الدانيماركي طبقاً لنظام تعليمه ؟ الطفولة السعيدة يقضيها في معاهد تقتل فيه ما وهبه الله من ملكات سامية مقدسة ... وهنا خرج جرونوي



بنظرية حول تربية الاطفال تخالف ما كان شائعاً بين علماء التربية ، اذ كان الجميع يأخذون بنظرية العالم السويسري ( بستالوزي ) من ان الطفولة مرحلة تمهيدية للرجولة . اوضح جرونوي بان الطفولة مرحلة قائمة بذاتها ، تحتم احترام رغبات الطفل كطفل ، ومحاولة اشباعها ، لا ان يزج به دفعاً نحو الرجولة المبكرة ، والا كانت النتيجة سلبية ، وخير للبشرية ان تمدد مرحلة الطفولة ما امكن ، لانها تعطي وقتاً كافياً للنضوج العقلي والجسماني . وقد اعتنق علماء التربية الحديثون هذه النظرية، ووضعت موضع التطبيق في كثير من انحاء العالم.

ثم استمر جرونوي يكشف اخطاء التربية الدانماركية ، فاوضح بان الدانماركي يقضي مرحلة الصبا ( ١٤ — ١٨ ) في دراسة ابحاث لا تتصل بالحياة باي سبب ،ومن الخير ان يتعرف في هذه الفترة للمزرعة والمشغل والاوساط العملية ليتفقه فيما يكوّن حياته مستقبلا .

اما القلة المرفهة التي تستطيع الذهاب للجامعات فتتركها « وهي لا تحس ولا تعي، ولا تتجاوب مع المجتمع الذي تعيش فيه ، فالطبيب غايته الاثراء ، ودارس القانون همه ان يرفع صوته مجلجلا في قاعة المرافعات والمحاكات ، كأن جمع المال وصوت الطاحون فضائل لا تنافس » .



دعا جرونوي الى اصلاح النظم التعليمية القائمة بحيث تتفق وغايات التربية ... ولكن حجر الزاوية في نظريته التربوية هو دعوته لانشاء مدارس تتمشى وفقاً لاسس ومبادىء لم يبشر بها احد من قبل ، ونستطيع ان نجملها فيما يأتي :

### من ناحية الشكل

تسمى هذه المؤسسات ( مدارس الشعب العالية ) دلالة على انها ليست وقفاً على طبقة دون اخرى من جهة ، وانها تؤهل المرء « لفن الحياة » : اسمى وارفع ما عرفته البشرية من فنون ، من جهة اخرى .

— لا يقبل بها من لم يتم الثامنة عشرة من عمره ، حيث يبلغ مرحلة جسمانية وعقلية تؤهله للاستفادة ما امكن .

— التعليم والتعلم فيها حران، طلقان من كل قيد. لا امتحانات ولا سجلات حضور . نوعية المحاضرات وسمو الحياة الاجتماعية فيها هما الدافعان اللذان يرغبان الطلاب في ارتيادها .

— ليس للدولة اي سلطان عليها بالرغم من انها تمولها وتمد طلابها بمساعدات مالية سخيه جداً ... ويدير شؤون المدرسة مجالس مختلفة تؤلف من الطلاب والعميد والمدرسين . . .

— يقضي الطلاب والعميد والمدرسون وعائلاتهم فترة الدراسة جميعها داخل المدرسة ، حيث يأكلون ويشربون معاً وينامون في نوع واحد من الغرف .

— فترة الدراسة خمسة شهور شتاء ، للذكور والاناث معاً وثلاثة شهور صيفاً للاناث فقط ( حيث يعمل الذكور في المزارع وقت الحصاد )

### من ناحية الموضوع

تحتل الابحاث الخمسة التالية المقام الاول :

— التاريخ والعلوم المدنية : دعا جرونوي الى دراسة التاريخ القومي والعالمي بروح تحررية ايجابية، تهدف لاكتشاف مواضع الفضيلة والنبل والخير ، واتخاذها وسيلة للاستدلال على غنى النفس البشرية ، وللتكوين والخلق والابداع ... نبذ تدريس التاريخ باسلوب « مدرسي جاف » ، او بروح نقدية ترمي لاظهار النقائص فقط ، لان روح النقد اذا تطورت في المرء وصلت به الى اظهار غرائزه الوحشية . وويل للبشرية عندئذ.. أكد جرونوي بان تدريس التاريخ القومي يجب ان ينال عناية خاصة ، لان حب الانسانية والعمل لخيرها يبدأن من تقديس

الوطن .. واوضح بان القومية والانسانية مظهران مترادفان لمعنى واحد هو « الفضيلة » باجلى معانيها ، فلا يمكن ان يتنافسا او يناقض احدهما الآخر الا بين الاقوام الجاهلة المشبعة بروح تعصبية. استعمارية ويتضمن برنامج التاريخ في المدارس الشعبية في الوقت الحاضر تدريس الاقتصاد السياسي ، وعلم الاجتماع والمشاكل العالمية الجارية، كقضية فلسطين، وكشمير، وكوريا، ومشكلة التمييز العنصري واللوني في جنوب ووسط افريقيا.

اما العلوم المدنية فانها تلقي ضوءاً واضحاً على شؤون الوطن والامة والدستور وموارد البلد الطبيعية وحاجاتها الاساسية ، وماهية الفرد وعلاقته بالامة ، وعلاقة الامة بالمجتمع الانساني .

— اللغة الوطنية : كتب جرونوي يقول « الايمان واللغة هما السلسلتان الذهبيتان اللتان تربطان النفس البشرية بكل ما هو مقدس ونبيل وعزيز » .. واعتقد بان اللغة — أية لغة — تحوي جميع الحقائق والمميزات التي تدفع المرء للتعلق بتاريخه القومي وبالمعاني النبيلة الانسانية .. ولا يغير اختلاف اللغات من قيمتها ، فهي « كالزهر المختلف على نبات مختلف » .. ومن الطريف اعتقاده بان اللغة في انبل صورها لا تكمن في عقول فطاحلها ، ولا تتجلى في كتابات متحذلقيها ، بل تظهر على ألسنة الشعب وفي اقوال العامة .. ولهذا دعا لتدريس « الادب الحلي والامثال والحكم الشائعة » وتفسيرها .كان جرونوي طليعة العلماء الذين علقوا اهمية خاصة على اللغة وتدريسها مثل فندلي ، Findlay وديمان Deman .

— الغناء والموسيقى : « الغناء ، ذلك الفن الذي يرفعنا عن الارض ويضعنا على حافة الخلود » . دعا جرونوي الى نوعين من الغناء : الغناء الشعبي الوطني الذي يعبر عن شعور الفلاح ، ويصور حياته ، ويصف الحقل والاكمة والعامل والطاحونة الهوائية والريف..الخ... من مظاهر الوطن،والغناء الانساني الذي يشيد بمعاني الفضيلة بمختلف صورها . وقد لاحظت خلال الفترة التي قضيتها في اربع من هذه المدارس ان البرنامج اليومي يفتتح باغنية في الصباح ، وان كل محاضرة تسبق وتختم باغنية تتناسب وموضوع المحاضرة ، مصحوبة بالحان البيانو . هذا بالاضافة الى ان وجبات الطعام والجلسات المسائية الهادئة تتخللها أغان سامية ترتفع بالانسان حقاً الى « حافة الخلود » .

ومما يجدر ذكره ان جرونوي دعا الى الاعتماد على « الكلمة الحية — The living world » كوسيلة لتدريس الابحاث السابقة ، بمعنى ان المحاضرات الشفهية والمناقشة والجدل — لا استخدام الكتب والمصادر — ينبغي ان تكون محور التدريس .. « ميتة هي الكلمة المكتوبة، لانها لا تعطي قارئيها سوى ظلال الحقيقة ، ولا تثير فيهم شعوراً يتجاوب مع ما تتضمنه من معنى رفيع » .. وقد استدل على قيمة المحادثة بشواهد من الكتاب المقدس حيث ورد ما معناه : « روح وحياة هي الكلمات التي اخاطبكم بها » . . كما ان سقراط اعترف بقيمة الجدل في محاورة افلاطون ( فيدرون ) .

— الرياضة : لانها من الوسائل الفضلى للسمو بالنفس البشرية، ويمارسها الطلاب يوميا ساعة من الزمن على الاقل. ويقترن بالرياضة الرحلات العلمية القصيرة التي تثقف الدانماركي بشؤون وطنه .

واخيراً ، وليس آخراً ،هناك المزرعة والمشغل حيث يقضي الطلاب فيها فترة من وقتهم .. واعمال الابرة والاشغال اليدوية للاناث .

سرت دعوة جرونوي ، لا في ارجاء الوطني الدانماركي فحسب بل في انحاء شبه الجزيرة الاسكندنافية، سريان النار في الهشيم ، حيث أسس في الدانمارك وحدها ٨٣ مدرسة شعبية حتى الوقت الحاضر.. واذا استطاعت لغة الارقام والحقائق ان تعبر عن المكانة المرموقة التي تحتلها هذه المدارس في نفوس الدانماركيين ، فقد دلت احصائيات ما قبيل الحرب العالمية الثانية على ان ٤٠—٥٠ بالمئة من سكان الريف الدانماركي ارتادوا هذه المدارس فترة من الزمن .. وان ٣٤٪ من اعضاء احد البرلمانات السابقة كانوا من خريجيها .. وان خريجي الجامعات يقصدونها بعد الحصول على اجازاتهم الجامعية طلباً للتثقيف والتنوير .. وقد قابلت في مدرسة ( آسكوف) القاضي الشاب (كنودسن) الذي استقال من منصبه القضائي الكبير، وضحى بمستقبل اكبر في عالم القضاء ، ليرتاد تلك المدرسة. واخبرني بانه يكتسب ثقافة ومعرفة فيها لم يحصل عليها في حياته الجامعية والعملية . كما ان الاستاذ نوفروب Novrup الذي ترأس مؤتمر اليونسكو لتربية الكبار عام ١٩٤٩، ترك منصباً تعليمياً كبيراً في وزارة المعارف ليتولى عمادة احدى هذه المدارس .. وقد علمت ان وزراء الزراعة والمعارف يختارون عادة من بين خريجي هذه المؤسسات، التي «حققت اسمى تجربة تربوية ناجحة لتثقيف المواطنين اليافعين وتزويدهم بالديموقراطية الواعية » .

عمان

**زوقان هنداوي**

## دعـــاء

للسيدة جليلة رضا

القاهرة

ربّ هب لي قلبا فتيّا شديدا ... مستخفّـــا بالحادثات عنيـدا
كل ركن فيـه يصب جمودا ... وغموضـــا وظلمـة وجحـودا
لم يشبّ الوفـــاء بين حناياه ... ولم يعـلُ قائمـــا موطـودا
لم تدمره رأفـــة أو رثـاء ... لا. ولم يرع في الغرام عهودا
يرتع الشرّ في رباه ويجـري ... الكذب لا يعرف المدى والحدودا
والنفاق الأصيـــل يهفو ويمتد ... على شاطئيـــه حرّا مديـدا
مسرح يلعب الرياء عليـــه ... دوره كامل الأداء مجيـدا
يتثنى الاغـراء فيـــه وتهتز ... الأمـــاني به ثنـاء وجودا
ويغنّي الجفـــاء والبغض لحنا ... دائم الوصل والرؤى منشودا
وقلوب من السذاجـة نشوى ... وعيون الغرور تصغي شهودا
ويلف النسيان آخـر ضوء ... كان لما يزل مشعا فريدا
ذاك ربي مـــا اشتهيه لقلبي ... كي يجاري الزمان حرا سعيدا



## خيبـــة

في غربتي، كان موطني
حلما لذيذا، يداعب
افكاري، ويثير حنيني..
وفي ٢٠ حزيران انفتحت
عيناي، فوجدتني في عتمة
«اليقظة» غريبا،
وودت ان اغفو..

لسلمان امون

آه!
حين رأيتك؟!
فجعتني!.
خدعتني!.
قتلتني!!
موطني
اشلاء...
اصداء...
ممزقـة...
مبعثرة...
آه!
حين رأيتك؟!
فجعتني!
خدعتني!
قتلتني!!

موطني.
بعين قلبي المتعب
على متن المركب
عند الصباح المشرق
حدقت في الافق
عبر الالم المورق
مات شوقي معي!
على بابك المغلق،
آه!
حين رأيتك؟!
فجعتني!
خدعتني!
قتلتني!!
موطني

زينة الموكب
بسمة المغترب
على «اشعاعك»
النكد!
ملامح الموت
الانكد!..
ضباب،
وسراب..
يا ويل قلبي
الصدي..
على بابك الموصد؟!
مات!
ولمّا يع!!!
موطني




### مفرق الطريق

للدكتور بشر فارس ــ طبعة ثانية فاخرة في صورتها الجديدة كما أخرجت على المسرح الاوربي ــ نشر « مطبعة مصر » القاهرة

[ الاديب : لا شك ان « مفرق الطريق » من الكتب التي لها تأثير واضح، كبير في مجرى الادب الحديث. فهذه المسرحية على صغر حجمها شقت طريق التعبير الشخصي وادخلت لطائف الفنون الجميلة الى اصول الانشاء الادبي ، ولم تلتفت الى بهرج البلاغة من جهة ولم تسقط الى التأثير المباشر السهل من جهة اخرى . وميزتها الاولى انها تناولت النفس البشرية في حالتي صعودها وهبوطها مع مـا يتذبذب من خلجات ونيات بين الحالين . والمسرحية توطئة هي بمثابة صرخة للفنان المجدد .

وتظهر الآن الطبعة الثانية بزيادات في الحوار وتنبيهات وتوجيهات لا بد منها للمخرج والممثل . والطبعة باللغتين : العربية والفرنسية بترجمة المؤلف . وقد كتب الاستاذ الفرنسي روجيه ارنلديز ، استاذ الفلسفة في جامعة ابراهيم بالقاهرة ، في جريدة « الجورنال ديجبت » عند ظهور الطبعة الفرنسية اخيراً: « اهتدى بشر فارس الى سر معنى « الدراما » فشعر الشعور التام بخصائص الخلق الادبي ، والدليل ان المسرحية لا تقوم فقط على العقدة والحوار ولكن ايضا على اوصاف الجو الذي تجري فيـه ، من منظر والوان واضواء وموسيقى . فمعنى الرواية غير محصور في التراكيب اللفظية بل يتعداها الى لفتات الحركات الصامتة وايحاءات الاخراج . فبراعة المؤلف انه جعل المكان يتحدث كما يتحدث الاشخاص . » ]

***

في ثوب جذاب بتصاويره وتزاويقه ، وفي اخراج رائع حقا ، نشرت « مطبعة مصر » الطبعة الثانيـة من « مفرق الطريق » . فجاءت في صورة جديدة مع اضافات في المتن ، رأى المؤلف ان يدخلها عليه مستوحياً في ذلك مكنات المسرحية نفسها وهو يشاهد تجارب تأديتها على المسرح في فرنسا ثم في النمسا. وهذه الاضافات نابعة من صلب المسرحية لا تبدل من كيانها ولا من جوهرها بل تغذوهما وتقويها، وبهذا يزيد الحوار انطلاقا وتماسكاً .

وقد رأى المؤلف اليوم ان ينشر في آخر الكتاب « نهجاً نفسانياً » يزيد معاني الاشخاص تصويراً، ومغزى الموضوع جلاء في ذهن القارىء .

ولما كانت « مفرق الطريق » حدثا في ادبنا المعاصر يجدر بنا ان ننظر فيها نظرة فاحصة .

لقد اثارت هذه المسرحية عند ظهورها سنة ١٩٣٨ ثم بعد سنتين مناقشات ومساجلات . ولا يزال الناس يجادلون في مرماها الفلسفي « وقوتهـا » المسرحية . فهي مفعمة بالنزاع العنيف لان الصلات بين ابطالها صلات جوهرية ، تتوشج بينهم خفية وتتفتق في لطف وتغرق مـا تنطوي عليه من الكنوز الروحانية في غمر عميق من الصوفية الشرقية . كل هذا يتجلى من خلال ظلال من التعبيرات الشعرية الاصيلة التي تحلق بنا في اجواز عالية بوحي من الصور المومضة والتلميحات الرقيقة ، يعينها على ذلك لحن صاف من الحـان الناي يضيء متاهات الحياة الباطنة .

ولا شك في ان مسرحية « مفرق الطريق » قـد تصد الجمهور المترخص وتصرف عنها الجمهور المتشبث بالتقليد وتدخل اليأس على قلب الناقد الموضوعي ، ولكنها من ناحية اخرى تثير الحماسة الفنية في نفوس شباب الجيل الجديد في مصر والعالم العربي . وهذه الآراء التي أجراها المؤلف في « التوطئة » فقدم بها لمسرحيته تثير هزات طريفة في قلوب قرائها ثم تستوي ناموساً يرعاه فريق من الشعراء والكتاب الطالعين .

ولم يقدم بعد مخرج مصري واحد عـلى مجابهة الجمهور بمسرحية « مفرق الطريق » ظناً ان الجمهور المصري لم يتهيأ بعد لاستساغتها ، وحجتهم على الاغلب ان الفنان الرمزي يترك الشيء الكثير من مضمونات مسرحيته لخيال الناظر الذي يسمو الى مرتبة الابتداع بالمشاركة في فهم هذا الطراز من الانشاء حتى يساهم في خلق المسرحية على المسرح .

ولكن لما نقلها مؤلفها الى الفرنسية اقبل الناس اليها ، على

طرافتها وصعوبة متناولها . فاخرجت في سنة ١٩٥٠ بباريس على المسرح ثم سرعان ما طبعت هنالك في مجلة عالمية للمسرح لتسير بين الناس .

وكذلك الامر في النمسا فقد اخرجت على المسرح باللغة الالمانية منـــذ سنتين في مهرجان سالزبورج الدولي ممثلة للفكر المصري .

ولقد اعلن النقـاد المتفطنون من الفرنسيين والنمسويين انهم شاهدوا « مفرق الطريق » ببصائرهم لا بابصارهم . فالخلجات النفسية الدقيقة والآراء الطريفة التي تجري على بساط من المنطق المستوي متساوقـــة بفضل منحى فكري ناشط ، قد ارضت المعايير الفنية الغربية في حين ان قدرة المؤلف على المر الخاطف بالموضوعات المختلفة لكي يبين شيئاً فشيئاً المطلب الرئيسي في المسرحية — وهو تطلب السعادة في الاستسلام وفي التجرد المطلق الذي تهفو اليه الطبيعة البشرية المتسامية — هذه القدرة اتاحت للنقاد ان يجوزوا مجالات سحرية للتأمل الشرقي .

هذا فيما نعتقد هو ما اراد ان يعبر عنه الناقـــد الفرنسي ( جوستاف جولي ) اذ يقول : « جاءت مفرق الطريق مفاجأة لطيفة للناظر . وهي تكشف له عن الشعر الرهيف وعن الرفاهية الروحية وكذلك عن الاستسلام والقنوط المطمئن . وهما من الموضوعات التي يمتاز بها اسلوب من التأليف المسرحي نتمنى ان يزيد علمنا به وقد اقتنعنا بسحره ... »

وعلى هذا النحو ايضاً فهم المسرحية الناقد النمسوي (شور) اذ يقول : « هذه قصيدة من الشعر تقبل الينا كشهادة للروحانية العربية الحاضرة ، فلا يهم المؤلف سوى الحركة الداخلة ، لذلك جاءت معالجته اقرب الى الاسلوب الشعري منهـا الى اسلوب المأساة ... فتراه يمتنع عن الافاضة في بسط النضال ليعوضنا عن ذلك بعرض احوال نفسانية هي غاية في اليسر مع انها ابعد ما تكون عمقاً . »

هذا وقد اعجبتنا الفاتحة التي كتبهـا المستشرق ( لويس ما سينيون ) والتصدير الذي دبجه مدير المجلة المسرحية بباريس ( بول ارنلد ) لهذه الطبعة الثانية . اما الفاتحة فقربت الشبه بين اسلوب بشر فارس في دأبه على التلميح بـلا تفسير الى الامر المخالف او المحال وبين اسلوب ( البير كامو ) الفرنسي و ( كافكا ) التشيكوسلوفاكي . واما التصدير فارجـــع سر طريقته الى خصائص الذهنية الشرقية التي لا تترفق في ان تفهم ان كل ما ينشأ وكل ما يجري وكل ما يفنى ليس الا انعكاس الكون الاعظم وصداه .

هذا وذاك مما يبعث على قراءة هذه المسرحية واستيعابها ففيها متعة للعقل وغذاء للروح .

وفي سنة ١٩٣٩ تكهن بروكلمان وهو اكبر ثقة في تاريخ الادب العربي بالانقلاب الذي يجدر بهذه المسرحية القصيرة ان تحدثه في ادبنا المعاصر ، وقد فطن الى ان هذا الاتجاه الجديد في التأليف المسرحي لن يؤتي ثماره الا بعد نضال عنيف . وانا لنؤمن ان اخراج « مفرق الطريق » على المسرح المصري هو النصيب الذي ينبغي ان يضطلع به المخرجون المصريون في هذا النضال . يضطلعون بـه مستأنسين بمـــا قام به رصفاؤهم في فرنسا والنمسا .

القاهرة — **وهيب كامل**
استاذ الاداب اليونانية
في كلية الاداب بجامعة القاهرة

## في ظلال الحرية

للدكتور بديع شريف الملحق الثقافي بسفارة العراق في مصر
— ١١٢ صفحة — نشر دار الكتاب العربي بالقاهرة

عرفت مزايا الدكتور بديع شريف في ثقافتـه العميقة وكفايته فيما يتمرس به ويضطلع ، فلمـا قرأت كتابه في « ظلال الحرية » ازداد اعجابي بما اوتي هذا المؤلف من سلاسة القلم ونفاذ البصيرة والمعرفة ودقة الاحاطـة بلباب الموضوع دون حيدة عن الفكرة المقررة والنهج القويم .

ينزع المؤلف بحكم ثقافته واتجاهه نزعة فلسفية عامة ويجري احكامه على وتيرة القياس بعد ان يتفهم الحقائق للاشياء ويشيع في احكامه حب الحرية وايثارها ، وليس بدعاً من بديع ان يؤلف في ظلالها كتابه هذا ، الذي يصح ان يكون دليـلا اخلاقياً في ايـدي الجمهور تتأدب به الناشئة ويفيـــد منه القارىء الواعي .

منذا الذي لم يعشق الحرية ... ان العبيد الراسفين بالاغلال والطلقاء المتبججين يعشقونها ولا يؤثرون عليها شيئاً ، فهي ابداً منشودة غالية ، واراها نسبية ذات معان والوان ، يعيش الانسان وهي في روحه وغريزته ، ومالاقى الحياة حين تحجبها عنه او تقيدها له او تعكر صفوها لديه ، ولا اسائل نفسي اي حافز حفز المؤلف الاديب حتى كتب في هذا الموضوع وقد

قلت ان عشاق الحرية ممن تفيأوا ظلالها واخذوا منها كل نصيب موفور لا يقنعون بما يتنسمون منها وينعمون ، بل يستزيدون وينشدون حرية ابعد واسعد ، وقد دلل المؤلف على هذا في صفحاته الاولى فالقى نظرة شاملة على طبيعة الانسان والحيوان وكيف يسعيان الى الحرية ، وان من الجماد ما ينشدها مثلما ينشدها الانسان ، فالبراكين تشقق الارض وهي تطلب الحرية ، وكان المؤلف في ظلال الانوار التي القاها على الحرية منددا بالعبودية والظلم والاصفاد حامداً للانسانية ان اقامت الحدود وجعلت من القضاة العدول خير ضامن لنعمى الحرية

ولقد عرفت المؤلف الاديب نزّاعاً الى منابعنا التاريخية من لحم العروبة ودمها ومن روح الدين ومكارم الاخلاق ، فتحدث عن « محمد » رسول الاسلام وكيف استطاع وهو اكبر معلم للحرية ان يبعث بها امة وان يؤسس من اجلها القواعد لمجد لا يبلى ، ثم جذبه الكلام الى المناظرة بين الشرق والغرب ، وصار به بحثه الى موازنة بين آراء اجتماعية تتعلق بالحرية والعدالة عند « روسو » و « نيتشه » . وفي فصله الذي كتبه عن الاحزاب ، وضع للاحزاب خطط السمو والسداد حين يكون رائدها الحرية الصحيحة . والدكتور الجامعي بديع خرجته المانية وسويسرة وشهد هنالك كيف تكون الحرية التي تخلق الرجال ، وكنت اتمنى بعد ان افاض في سمو الروح الجامعية في ظلال الحرية ان يتلفت الى الجامعات التي تخنق روح الحرية ويشيع فيها الكيد والدس فلا يمثل اساتيذها هذه الروح ولا يعبأون بالغاية العليا التي من اجلها انشئت الجامعات بل جعلوا الدرجات المادية والتحاسد ديدنهم .

وكانت خواتيم كتابه متوقدة حين اخذ يصور الامة العربية وقد اثارتها حماسة الحرية . وفي آخر الامر استقرأ المحن والنكبات فوجدها خير استاذ يعلم الحرية .

لقد جاء كتاب « في ظلال الحرية » مثالياً اخلاقياً في موضوعه ، ولم يجيء عملياً او واقعياً . فهو منارة هدى وايمان ونفحات روحية في سبيل اعز شيء في الوجود ، واني لانتظر من المؤلف الصديق ان يخرج كتاباً آخر في الحرية نفسها التي تحيا فيها الامم اليوم في الشرق والغرب ليرينا صوراً لها في ادوائها وانحرافها وتهاويل الوانها ومعانيها ، وعندئذ تبدو ضاحية للاعين تلك الشمطاء المخادعة التي تسمي نفسها الحرية وهي العبودية ...

القاهرة — زكي المحاسني

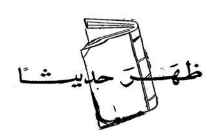
## الشارع الجديد

للاستاذ عبد الحميد جودة السحار — منشورات لجنة النشر للجامعيين بالقاهرة

الشارع الجديد مهزلة الحياة الانسانية ، هي خير ما كتبه الاستاذ السحار ، وهي تطور افضل لمحاولته السابقة في قافلة الزمان . هي قصة الحياة الانسانية بافراحها ومآسيها ، قصة اسرة تتدحرج مع الزمن منذ ايام كرومر حتى العهد الحاضر ، يموت فيها اشخاص ويولد آخرون ، ويمر البعض ويهرم الاخر ، والحياة سائرة وهؤلاء في خضمها يكافحون ، يكافحون الحياة آنا ويكافحون بعضهم بعضا آنا آخر . فيهم من يشقى ويفنى في سبيل الاخرين مثل صفية ربة الاسرة المثالية التي تذكرنا بربة الاسرة في قصة بداية ونهاية للاستاذ نجيب محفوظ . فهي تذوب في سبيل اولادها وهي تكافح كفاحاً مريراً لا هوادة فيه كي تخرج بهم من فئة العمال الى فئة الموظفين . وفيهم من يكون الحسد مهمته الرئيسية مثل عزيزة او يكون اثارة الاعراض والتكلم في حق الناس هو لذته الكبرى مثل زهيرة .

اما الشارع الجديد فيقوم في القصة بدور الامل بالنسبة لسكان البيت . الامل الذي سيحل لهم مشكلاتهم . فاذا فتح الشارع الجديد بالنسبة ليونس الجد فهو دليل على صواب رأيه حين اشترى ذلك المنزل وهو اثبات لرجاحة عقله امام زوجه ، واذا فتح الشارع بالنسبة لرب العائلة علي فهو ثروة تحل له مشاكله المالية . وقد ربط المؤلف بين اهمال الحكومات لفتح الشارع الجديد واهمالهم لشعبهم . وان وجود الشارع الجديد — وهو عمل حكومي محض — معناه تغير حقيقي في سكان ذلك الحي ، هو تغير لا يمكن ان يكون مظهره الوحيد فتح الشارع .

وقد استخدم الكاتب بعض الشخصيات الثانوية استخداماً له اهميته الفنية ، فحليمة الجالسة بالقرب من باب المنزل الذي تسكنه اسرتنا وامامها قفص الجريد صفت فوقه قطع الحلوى التي تبيعها للاولاد ، هي ساعة الزمن في هذه الحارة . فهي في اول الرواية ذات مسحة من جمال تثير الغيرة في قلب فاطمة زوج يونس ويغازلها النجرو ثم هي في منتصف الرواية قد بدأ يعلو شعرها البياض وفي نهايتها قد صارت حطاما وهي جالسة في ذلة امام قفصها ، اما النجرو الذي كان يغازلها فهو يلعب مع حليمة دور الزمن الفني في القصة ، فكأنهما عقربا الساعة . وهي شخصية قريبة كذلك من شخصية زيطة في زقاق المدق لنجيب




لما كان مجال هذا الباب « ظهر حديثا » لا يسمح لنا بان نعرف بجميع الكتب التي تردنا في خلال الشهر ، مما ادى الى تأخير الكتابة عن العديد من المؤلفات ، فقد رأينا الاكتفاء - موقتا - بالاشارة السريعة الى صدور هذه الكتب حتى لا تضيع الفائدة على القراء الذين يرغبون في الاطلاع على احدث ما اخرجته المطبعة العربية . مع العلم بان ذلك لن يحول دون نشر ما يردنا من نقد وتعريف بها في باب « مكتبة الاداب »

***

- في غمرة النضال - مذكرات سليمان فيضي - ٣٢٠ صفحة - قطع كبير - شركة التجارة والطباعة بغداد
- معركة فلسطين في المهجر - لجواد نادر - ١٩٢ صفحة - مطبعة جريدة السلام ببونس ايرس الارجنتين
- زوجتي - لمحمد كزما - الجزء الرابع من السلسلة الجنسية المصورة - ٨٠ صفحة - منشورات دار القلم بيروت
- تسواهن - لجعفر الخليلي - ٨٠ صفحة - مطبعة شركة النشر والطباعة العراقية بغداد
- الحياة قصص - لخليل رشيد - ٨٨ صفحه - مطبعة دار النشر والتأليف في النجف
- طعم الرماد - ليوسف حبشي الاشقر - مجموعة قصص - ١٢٧ صفحة - مطابع فضول بيروت
- صحة الطفل - للدكتور حبيب صادر - الكتاب الاول من سلسلة « في غياب الطبيب » مجموعة الثقافة الصحية باشراف الدكتور سليمان عزمي - ١١١ صفحة - منشورات دار المعارف بمصر
- اسرائيل بنت بريطانيا البكر - لمحمد علي الزعبي مدرس التاريخ في كلية بيروت الشرعية - ١٦٧ صفحة - منشورات دار الانصاف بيروت
- الساحر العظيم او يد الفن تحطم الاصنام - شعر - لمحمد حسن عواد - ٥٦ صفحة - قطع صغير - لم يذكر اين طبع هذا الكتاب.
- اماس واكلاس - مجموعة شعرية - لمحمد حسن عواد - ٩٦ صفحة - مطابع دار الكشاف بيروت
- الاسلام في نظر الغرب - نقله الى العربية الدكتور اسحاق موسى الحسيني - علق عليه الدكتور علي عبد الواحد وافي - ١٥١ صفحة - دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت
- طبيبك معك - الكتاب الثالث - للدكتور صبري القباني - ١٥٩ صفحة - مطابع عجة واتحاد دمشق

---

محفوظ نبدأ معه شابا ثم نغادره وقد شيب الزمن شعر رأسه .

وعلى ضفتي الحارة فريقان هما الصعايدة والفلاحون كلما كان هناك عرس في فريق منهما قامت المعركة بينهما، ولكن في اللحظات التي تحتاج فيها الامة الى الاتحاد فان المعركة لا تقوم.

وللكاتب سخرياته المريرة - فحين تلجأ صفية الى اختها الثرية جليلة تطلب منها قرضاً كي يتعلم ابنها خالد ترفض وتنصحها بالا تشقى في سبيل ابنائها . ثم يذهب زوجها الى صديقه المرابي استاورو فيظهر استعداده على الفور لان يقرض خالداً مصاريفه بلا ربا . فكأنما المرابي احيانا ما يكون افضل وانفع واشفق من الاقرباء .

وليس بالقصة عقدة ولا علو ولا هبوط ، بل هي تكاد تكون سرداً تاريخياً لحياة اسرة ، وهذا قد يكون عيباً كما انه قد يكون ميزة . فهو عيب اذا ما اردت ان تفهم القصة على انها اختيار حركي وتعمق للشخصيات وتحليلها للمواقف والمشاكل ، وهو ميزة اذا كان الكاتب يريد ان يصور الحياة كما هي وان يقول ان ما يختاره الكتاب الاخرون ليس هو الغالب ولا هو المألوف حتى وان وجد ما يشبهه في الواقع .

ولكنك تحس بعد قراءتك للقصة انها ضغطت ضغطاً شديداً وان حوادثها اكثر من سطورها حتى ان الكاتب ليضطر ان يخطف الاصوات خطفا وربما لو تأنى الكاتب لكان قد اخرج لنا شيئاً اعمق . ومع ذلك فان هذا لا ينقص من اعترافنا بانه قد نجح في التعبير عن طبقة في المجتمع ربما كانت هي اوسع الطبقات التي ستقرأ هذا الكتاب .

القاهرة — يوسف الشاروني

● افول وشروق ـ لخالد الدرة المحامي ـ قصة تحليلية ـ ١٦٧ صفحة ـ مطبعة الوادي بغداد

● مآسي الغيد ـ سلسلة قصص من صميم الواقع العراقي ـ لعبد الرزاق السامرائي ـ ٣١ صفحة ـ مطبعة الزهراء بغداد

● اطوار الفن القصصي ـ دراسة تحليلية لفن القصة في مختلف العصور ـ ليوسف عجاج المحامي ـ ٩٠ صفحة ـ مطبعة دار السلام بغداد

● وظائف المختار وواجباته ـ لعدنان الوفائي ـ ١٤٦ صفحة منشورات المكتبة العربية حلب

● سمراء مها ـ شعر ـ للاخوين رجباني ـ ١٤٠ صفحة ـ منشورات الرواد دمشق .

● جرجي زيدان ـ رسالة جامعية قدمت الى كلية الاداب بالجامعة السورية ـ لمحمد صلاح الدين موسى وباشراف الدكتور ابراهيم الكيلاني ـ ٤٠ صفحة من الحجم الكبير ـ طبعت على آلة الرونيو الناسخة ـ دمشق

● الحرب والسلم ـ ملحمة شعرية ـ لكاظم السماوي ـ قدم لها الدكتور جورج حنا ـ ٤٠ صفحة ـ مزينة بالرسوم ـ منشورات دار القلم بيروت

● العبير الملتهب ـ لمحمد الصباغ ، مع تصدير لبولس سلامة ـ ١٥٠ صفحة ـ المطبعة الحسنية بتطوان المغرب .

● رائد الشعر الحديث ـ قصة الشعر الحديث واعلامه ومذاهبه وحركات التجديد فيه ـ لمحمد عبد المنعم خفاجي ـ ٣١٢ صفحة ـ قطع كبير ـ المطبعة المنيرية بالازهر القاهرة .

● عناقيد الغضب ـ مجموعة قصص من الادب الامريكي المعاصر ـ ترجمة جلال فاروق الشريف ـ ١٣٠ صفحة ـ منشورات الرواد بدمشق .

● في طريق الحياة ـ شعر ـ لالفريد سمعان ـ ٥٣ صفحة ـ المطبعة العربية بغداد .

● اربع رسائل اسماعيلية ـ تحقيق عارف تامر ـ ١٣٥ صفحة منشورات دار الكشاف بيروت .

● ذكريات مشاهير رجال المغرب ـ لعبدالله جنون ـ الجزء ١٧ « ابو بكر ابن شيرين » ـ ٣٧ صفحة ـ الجزء ١٨ « ابن رشيد » ـ ٤١ صفحة الجزء ١٩ « ابو موسى الجزولي » ـ ٣٣ صفحة ـ منشورات معهد مولاي الحسن ـ مطبعة كريماديس بتطوان المغرب .

● الارملة المولى ـ قصص من العالم ـ لنجاتي صدقي ـ ٩٦ صفحة مزينة بالرسوم ـ منشورات مكتب توزيع المطبوعات بيروت .

● لبنان في حبائل السياسة ـ الجزء الاول ـ لتوفيق وهبه ـ ١١٢ صفحة ـ مطابع الدنيا بيروت .

● من ليالينا ـ مجموعة قصص ـ لنور الدين نور الدين ـ ٨٠ صفحة ـ مطبعة الانصاف بيروت

● تموزيات ـ مقطعات في الادب والفن والاجتماع ـ لفؤاد سليمان ـ الجزء الاول ـ ١٥١ صفحة ـ نشر لجنة تخليد ذكرى فؤاد سليمان ببيروت .

● التبشير والاستعمار في البلاد العربية ـ للدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ ـ ٢٣٢ صفحة ـ قطع كبير ـ منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها بيروت .

● نقد وأدب ـ لناصر الحاني ـ ١٤٠ صفحة ـ مطبعة دار المعرفة بغداد .

● عصام ـ لعبد الوهاب الصابوني ـ ٢٤٥ صفحة ـ قطع كبير ـ منشورات دار المعارف بمصر .

● علي وبنوه ـ الجزء الثاني من « الفتنة الكبرى » للدكتور طه حسين ـ ٢٨٦ صفحة ـ قطع كبير ـ منشورات دار المعارف بمصر

● كوخ العم توم للكاتبة الامريكية هنريت ستاو ـ ترجمة منير البعلبكي ـ ٢٨٨ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت

● احاديث الامسيات ـ لطه محمد القاضي ـ ١٠٤ صفحات ـ المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت

● في سبيل تفهم الطفل ـ للانسة عائدة شاكر صعب ـ ٤٦ صفحة ـ منشورات مكتبة المشعل بيروت

● البوصيري ـ للشيخ محمد الشاذلي النيفر مدير المدارس والحي الزيتوني بتونس ـ ٤٠ صفحة ـ منشورات المنبر الثقافي لجمعية الاتحاد الصفاقسي الزيتوني بتونس

● من الجراب ـ لمارون عبود ـ ١٩٠ صفحة ـ منشورات دار الثقافة ببيروت

● فحول الشعراء لابي سعيد الاصمعي ـ شرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني ـ ٩٨ صفحة ـ المطبعة المنيرية بالازهر القاهرة

● مجلة الزراعة العراقية ـ الجزء الثاني المجلد الثامن ـ عدد نيسان ايار حزيران ١٩٥٣ ـ عدد خاص بعيد التتويج ـ ٦١٣ صفحة ـ قطع كبير ـ مطبعة الرابطة بغداد

# جولة الأديب في شهر

## الفن للحياة ... وهم تأباه طبيعة الفن

## الوجودية منقذ للادب من الضلال

بقلم مروان الجابري

☆

ما كان لي ان اعود الى هذه المساجلة الحبية التي قامت بين القلم الكبير الاستاذ حسين مروه وبيني ، عندما اثار موضوع وظيفة الادب في الحياة وفي المتحد الاجتماعي الانساني ، وشـاء ان يسدد الى الادب الوجداني سهما غير طيـاش ، وان ينكر حقه في الوجود ، قارعاً الاجراس لادب جديد يقوم على اساس فكرة « الفن للحياة » وعلى انقاض الادب القائم على اساس فكرة « الفن للفن » ...

ما كان لي ان اعود الى هذه المساجلة اذكي نارها لولا هؤلاء الادباء الذين كتبوا في «الحياة» وغير الحياة من مختلف الصحف معقبين على الموضوع ...

والحق اقول انني وجدت في معارضة اكثرهم ، لما ذهبت اليه من ان الادب ليس وظيفة اجتماعية ، مشجعاً حفزني على توضيح فكرتي والتمسك برأيي ، ليس عن عناد ، انما عن اعتقاد ، وليس من قبيل التعنت بل بسائق الايمان باننا نخسر الادب من تراثنا الانساني حينما نفرض عليه الرسالات والاجتهادات التي تخرج من دائرة التعميم الى حيز التخصيص ...

وهنا ، لست انكر على الاستاذ حسين مروة قوله ان الالتزام والواقعية لا يمنعان على كاتب او شاعر او صاحب فن ان يحقق انسانيته وابداعه الفني الى جانب ما يحققه من الرسالة الانسانية في فنه ... لست انكره عليه كله ... انما انكر عليه جله . . فالتزام نظرية « الفن للحياة » ، لا يجرد فعلا الاديب الملتزم ، من الابداع الفني ، ضرورة ، انما يحصر ابداعه في نطاق ضيق ويكبله بالرتابة ، بما يحد من انطلاقه الابـداعي وهو يلتزم فكرة تفتح لنشاطه دائرة مغلقة لا يخرج منها ولا ينفرج فيها امامـه المجال سموا وعمقاً ، مهما مدت له من اسباب التوسع .

وهكذا لا يستطيع الادب الملتزم ، وهو يرفل في قيود الفكرة الثابتة ، ويتعثر في وشائج الهدف المحدد ، ويترنح في شباك الاجتهـاد المقرر ، الا ان يكون رسالة فكرة اجتماعية تخرج الاديب من صفوف الادباء الى صفوف الدعاة . وتنأى بأنتاجه من جو « الادب » العابق بالدفء والابداع والسحر والاشعاع الى جو « الدعاية » بما فيه من اصطنـاع مكبل الابداع .

فلنا اذن ان نخشى على الادب من حيث هو فن ، ونشفق على وجوده ومصيره من هذه التيارات التي تريد ان تخضعه باسم « الواقعية » لمقاييس ومفاهيم ومهات لا يستطيع فيها ان يتألق اشعاعاً ولا ان يتضوع سحراً واصالة وابداعا .

ولنا ان ندعو الى الادب الطليق المنطلق . . . الادب الذي يتخذ من المعنى المطلق للحق والخير والجمال رائداً له ، حتى ينبع اصيلا من ذاتية الانسان ووجوديته وحتى يظل فنا متألقاً مشعاً متضوعاً ، وهو يعالج مشاكل المجتمع الانساني ويعكسها حرفاً ولوناً ونغما في ابداع اصيل طليق ، يستعصي عليه ان نضعه في قمقم « الفن للحياة » او في خدمة اجتهاد معين لما يجب ان تكون عليه الحياة ، مجردينه بذلك مـن شتى امكانياته الفنية غير متيحين له الا ان يبسط بالوان مقيدة في اجواء ضيقة مختنقة تغص بالكبت تفسيراً لظواهر احداث الحياة وبواطنها من زاوية واحدة يظل فيها الرقم سيد الموقف الذي لا يرحم تسامي الروح الادبية المستعبدة به الشقية بمفاهيمه ، وهو يملي عليها اتجاهها في التعبير وقوالبها في العرض ...

اما القول بامكان انصهار الفكرة الثابتة وتمازجها بالفن في طبيعة الاديب بحيث تؤدي الغرض ذاته من رسالة الادب ، من حيث كونه فنا ، انما هو وهم مخدر يجنح اليه الادباء الملتزمون حتى يكفوا انفسهم عذاب مواجهة تطور انتاجهم ، وهو يفقد بالتدريج عنصر «الشخصية الوجودية» وينطبع بعنصر « شخصية المبدأ » . . وقد يخرجون لنا بعـد ذلك انتاجاً فنيـاً

مبدعاً .. ولكن في عبوديته ورقه واساره !

واليوم حيث لا يزال ادبنا العربي المعاصر برعماً لم يتفتق، وكما وليداً يحاول ان يستكمل شخصيته التائهة، ليس لنا ان نعرضه لتيارات اقوى من وجوده ، ورسالات ينوء بها كاهله ، ولقفزات لا تقوى عليها ساقاه ، ونحن بعد في اول الطريق ، لم نستكمل لهـذا البرعم مقومات حياته الاساسية حتى نجنح الى تحميله ما لا يطيق ومـا لا يستطيع .

على اننا نستطيع سريعاً ان نبلغ بهذا البرعم الوليد ذروة التسامي في الفن بحيث يصعد الى مصاف التراث الفني العـالمي ؛ اذا لم نعكر عليه جو التعبير عن « ذاتية الوجود الانساني » واذا جعلنـاه سبيلا لتحقيق وجـود الاديب بحيث يكون رسولا طليقاً من النفس البشرية الى الوجود والحياة تحدوه قيم الحق والخير والجمال ، دون ان تسترقه او تستعبده .

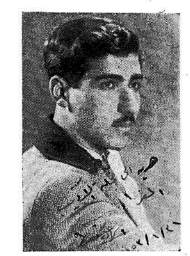
واذا كان الفن ، حرفاً او لونا او نغما ، تعبيراً عـن تسامي الروح الانسانية ، فان الوجودية في الادب هي ذروة الترف الروحي للفن والغاية المثلى ، بما تهيئه من واقعية طليقة تنسجم مع الحياة دونما تنـافر ودونما تصادم ، متيحة للفرد ان يتمتع بوجوده دون ان يشقى في النعيم بعقله ... فما يشقينا سوى هذا الفكر الذي يتصدى لتغيير طبيعة الحياة ناشزاً منها متنافراً عنها ... وهو خليقة هذه الحياة ووليد ذلك الوجود .

« الجيزة » مروان الجابري

# معرض فنان فلسطيني

بقلم هارون هاشم رشيد

☆

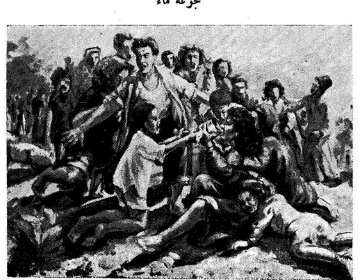


الفنان اسماعيل شموط

•

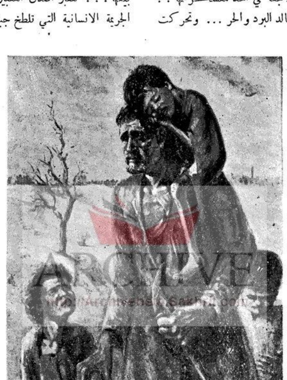
دعت وكالة هيئة الامم في غزة باسم قسم الخدمات الاجتماعية الى حضور معرض الفنان الفلسطيني اسماعيل شموط وقد اتيحت لي الفرصة لحضور هذا المعرض باسم مجلة الاديب ..

جرعة ماء



ان الفنان اسماعيل شموط هو احد الفنانين الكثيرين الذين ولدتهم ، الكارثة الفلسطينية ... فقد هاجر مع المهاجرين النازحين عن اقدس واحب بلد لهم هاجر من اللد وهو يحمل في عمق اعماق نفسه صوراً وانطباعات واحاسيس اختزنت .. في ذهنه تترصد الفرص لتنطلق ... ووصل الى غزة واستقر في خانيوس ، لاجئاً في احد معسكراتها . . يكافح الرياح والاعاصير ، ويجالد البرد والحر ... وتحركت الموهبة ، وتحركت معها ريشة الفنان ... وراح يرسم على لوحاته صور البؤس الجحيم والبلاء المقيم .. ولكن نفسه الكبيرة التي تعلمت الصبر والطموح دفعت به الى القاهره طالباً في معهد الفن الحر . . وهناك تهذبت الموهبة وراحت تسجل الاحاسيس على أصولها وبدأ نجم شموط يلمع .. وبدأت الاشعاعات الحية تتلألأ . . . وبدأ شموط الفنان يخرج الى الناس .. لوحاته ...

التقيت به في معرضه هنا لاول مرة . فقرأت في وجهه صورة رائعة من صور الكفاح والنضال والايمان الحقيقي بحقنا كشعب في الحياة وبحقنا كأمة في الكرامة والحرية ... وجلت معه في المعرض الضخم اتصفح الصور الناطقة الحية ... وقد بدأ معرضه بصورة رائعة للواء محمد نجيب وهو يحل العقد . الاولى عقدة السودان ، والثانية عقدة السويس والثالثة عقدة فلسطين وسرت معه الى ان تسمرت مع عدد ضخم من المتفرجين امام لوحة « الى أين » هذا السؤال الذي تردد على شفاه الآلاف النازحة عن ارض الوطن « الى اين ؟ ! » وهي صورة شيخ طاعن في السن حمل طفلا على كتفه وامسك بآخر في يده وقد سار خلفه طفل ثالث .. ان التعابير التي ارتسمت على تلك الوجوه الكابية لتعبر اصدق التعبير عن صدق الاداء في رسم شموط. ان هذه اللوحة التي وقف امامها احد رجال الهدنة يقول للرسام انني ادفع لك ثمنها ، ادفع لك اي مبلغ تريده.. والفنان يعتذر عن بيعها . . . لتعبر اصدق التعبير عن الكارثة عن المأساة عن الجريمة الانسانية التي تلطخ جبين العصر الحديث بالعار والظلم ... انها صرخة مؤمنة من عمق اعماق .. القلوب .. صرخة في أذن البغي والبهتان . . . ولا بد . . لا بد لنا .. ان ننتصر رغم هذا الشقاء المقيم



الى أين ؟ ! ...

وسرت مع الفنان استعرض . . اللوحات الرائعة وقد كان من ابرزها « جرعة ماء » « مريض » « بداية المأساة » او من هنا بدأنا ، ولوحات كثيرة في منتهى الروعة .

كل ما في معرض شموط يدل على ان القضية الفلسطينية حية في صدور ابنائها .. وانها هي المعين الذي يرتشفون منه وحي الهامهم ...

اننا نعمل لفلسطين .. نكتب لها .. ونرسم لها .. ونلحن لها ، انها في قلوبنا وعيوننا وصدورنا . . . رغم انف الزمان القاسي

وانني ارجو ان ينال معرض شموط من التشجيع في بيروت ما ناله في غزة فقد فهمت ان هناك مساعي تبذل لاقامة المعرض القادم لفناننا الموهوب في بيروت

غزة — هارون هاشم رشيد

# مطالعات في أدب الغرب

## تولفغانغ بورخيرت الاديب الثائر المتألم

### الادب الالماني الحديث بعد الحرب الاخيرة

بقلم اديب مروة

☆

من بين الاثار القيمة التي ظهرت مؤخراً في الادب الالماني الحديث ، والتي تشكل وثائق هامة مصورة اصدق تصوير عقلية الجيل الالمـــاني المعاصر ، هذا الجيل الذي نشأ على الضيق والحرمان ،والعذاب المادي والمعنوي خلال الحرب العالمية الثانية .. مجموعـــة من الاشعار والقصص والمسرحيات للكاتب فولفغانغ بورخيرت ، وهي تبدو معبرة خير تعبير عن هذا الجيل في تلك الفترة . *

ان بورخيرت ، بشخصيته كمؤلف ، وبما كتبه من آثار قوية يعتبر احد اولئك الذين يطلق عليهم لقب «ابناء العصر» المهددين بحلول العصر الذري . وقد توفي بورخيرت عن ستة وعشرين عاماً في نوفمبر ١٩٤٧ ، بعد حياة قصيرة من الثورة والالم . وليس في آثاره كلها ، وقصصه وقصائده ومسرحياته وخاصة روايته « في الخارج امام الباب » ، الا تعبير عن هذه الثورة ، وتصوير لهذا الالم ، بقوة من الاندفاع لم تتمثل حتى الان في اي ادب من آداب اليوم .

لقد بدأ بورخيرت الكتابة في التاسعة عشرة من عمره وولد في مدينة هامبورغ بالمانيا في جو فريد من نوعه من الفظاعة ، والتوتر ، المخيمين على ارصفة المرفأ وحول البحـــارة الغلاظ الغارقين في الضباب ، وعند تجاوزه سن المراهقة كان اول مـــا عرفه ، اثر التدمير الهائل الذي كاد يجعل من مرفأ المدينة جحيماً من النار ،ثم تعرف الى عودة المحاربين عند انتهاء المعارك ،ليجدوا كل ما يملكونه قد زال: نساؤهم،واولادهم، واهلهم وبيوتهم!..

ان مأساة « في الخارج امام الباب » ومعظم قصص بورخيرت تدور كلها حول موضوع العودة ، هذه العودة التي يقوم بهـــا من قهروا الموت من بين اخوانهم ، والتي يفرض فيها ان تكون فرصة للغبطة والفرح ، فاذا بها على العكس ، تبدو لكل عائد بانه لم يبق له مكان في هذا العالم المتزعزع المبعثر شذر مذر .

ولا يقف الامر فقط عند صعوبة تعويد هذا المحارب العائد على العيش من جديد في حياة مدنية سلمية ، بل يتعداه الى معضلة امكان هذا الكائن الحي ، انشاء اساس فكري وروحي لنفسه بين اطلال مجتمعه الجديد ، يستطيع ان يعتمد عليه ليستأنف حياته .

وبعبارة اخرى : ماذا يقدم عالمنـــا العصري للانسان اليائس المحطم جسمانيـــاً واخلاقياً من وسائل الراحة ؟ وعلى اي اساس يستطيع ان يبني ثقته وامله وحيويته ؟ وما هي هذه الضمانات او هذه الارض الصلبة التي بامكانها ان تمسك بجذور رغبته في الحياة دون ان تقلقها الاهواء والاعاصير؟؟ وماذا بامكان الناس ان يفعلوا كي يصبحوا يحتملون بعضهم البعض ضمن ظروف من العيش فرضها عليهم القدر ؟

فهل عرفوا ان يكونوا حركة كبرى تقوم على عوامل الحب والصداقة ، والتعاون المتبادل، والفهم ، والاجتماع ،وهي عوامل بدونها تقوم الخرائب على الخرائب ، وتتراكم البغضاء فوق البغضاء ويتبع الثأر الثأر ، الى ان تنعدم هذه الانسانية المندفعة وراء فناء نفسها ؟؟



لقد كان بورخيرت خلال حياته القصيرة ثورويا ، حاملا على جميع قوى الظلم والاعتباطية ، وكان يعتبر انه ضحية من ضحايا الجور الانساني ، ومتالماً من حماقة فئة من الناس وشراستهم ، بمعنى ان ثمة علاقة بين آثار هذا المؤلف والتجارب التي عاشها .

ان فن الكتابة عند بورخيرت لم يكن نتيجة رغبته في ان يؤلف اثراً ما من الاثار ، بل كان يتخذه وسيلة للكفاح ، وطريقة من طرق الدفاع عن افكاره وما يجيش في نفســه من انطباعات . ولعـل هذا ما يفسر سرعته الصادقة في اسلوبه ، بما في هذه السرعة من تكررات مشينة اشبه ما تكون بهمهمات المحموم . ان هذه السرعة المتقطعة التي تدفعه الى الثورة على الكون ، وعلى الصياح قد تكون نبوءة لما ينتظره من موت عاجل .

ومن هنا تاتي خطورة آثار بورخيرت وحدة اصدائه ، على انها ناشئة عن اقتناعه بالاهمية الانسانية . وكذلك عن قيمـها الجمالية ، وعن هذه الرسالة التي اوتيها ، ودفعته الى اخراج آثاره

* الكتاب الذي يحمل آثار بورخيرت الكاملة ‹Das Gesamt Werk› صدر عن منشورات دار روفوهولت بهامبورغ المانيا .

وهي آثار – كما تبين – ليست بمجموعها الا مستمدة من حياة رجل ثائر متألم مطعون بشرفه .

ان هذا المثل الاعلى الذي اتخذه بورخيرت وكان بالامكان ان يجعل منه « منارة لجميع السفن » هو بالفعل موضع التأثر .

لقد كان بورخيرت اقوى من رغبته في ان يكون شاهداً وحكماً في الوقت نفسه للعصر القلق الذي رماه فيه مصيره ، فكان ان غنى هذا العصر في قصائده الطرية اللذة الموسيقية . وهي تشبه في حالات كثيرة ، قصائد الشاعر الالماني ريلكي ، وخاصة في ملحمته « مصباح وشارع ونجوم » التي يقول فيها : « وما انا نفسي الا مركب في تيه .. » .

وقد كان في رواياته ايضاً اقوى من ان يكون راوية لاحداث اهوال الحرب كما حاول ان يصفها مَن تقدموه من الكتاب الالمان الشبان . اذ اننا نعثر في قصائد وروايات بورخيرت على تعليل صحيح لهذا القلق المؤلم الذي يشعر به جيله حيال معضلات معلقة دون حل ، وتجاه قضايا مبهمة يكتنفها شك بمزق على مفترق طرق موحشة متناقضة .

وكم هو جدير بالاهتمام من هذه الناحية ، مقارنة آثار فولفغانغ بورخيرت بتلك التي عبرت عن اقسى ساعات تاريخ المانيا الماضية وخاصة آثار بعض الرومانتيكيين كالانزوبوخنر ، وكليست ، او بعض الغنائيين والمسرحيين في الفترة الانطباعية التي تلت الحرب الاولى الكبرى امثال كايزر وفيرفل وبرخت وجان اونرو ، وتولر . وهكذا نستمع من جديد لدى بورخيرت الى هذه الغنائية الثورية المنسلخة التي تعري الاعصاب والدماغ والقلب

ان مسرحية « في الخارج امام الباب » بما في اسلوبها من نوبات وحشية ، وترداداث تفصح عن تعب مؤلفها وعدم قدرته على العيش ، وما يلقاه من عدم التشجيع ، وبما فيها من تعابير عامية تنطلق بضجيج ناشف ، وبما تحدثه من صرير في الافكار والاراء .. كل ذلك يجعل من صاحبها الذي توفي قبل ان يضعها موضع الترتيب والتنظيم ، شبيها بالكاتب كايزر الالماني في كتابه « الطريقة الاولى » او في « مآسيه اليونانية » .

ومهما يكن فان المجال قصير للتحدث عن هذا العامل من اليأس الذي كان للكتاب الالمان الشباب كبورخيرت بمثابة شعور هائل يذكرهم دوماً بفقدانهم معنى المكان والزمان . كقوم يعيشون وسط عالم من الخرائب ، لا يمكنهم ان يكتشفوا سوى آثار الهدم والخرائب حولهم او في نفوسهم ، وقد فقدوا ثقتهم في الاجيال القديمة التي قامت عليها هندسة الكون .

ان هؤلاء الشعراء الشباب تجدهم اليوم يستشعرون بزمان آخر وبمكان آخر غير الزمان والمكان المألوفين .

واخيراً لعل المكانة الكبيرة التي احتلتها اثار فولفغانغ بورخيرت ، على صغر حجمها ، في الادب الالماني المعاصر ، وما بلغته من اهمية لدى القراء ، تعود الى انه لم يصدر بعد الحرب الاخيرة اي كتاب بالالمانية بلغ شأو ما بلغته هذه الآثار من حماسة محلية ومن قيمة خالدة .

باريس **أديب مروة**

## الرجل الذي كان يحترمه برنارد شو

**الرجل** الوحيد الذي لم يستهتر به الاديب الساخر برنارد شو ، ولم يعامله باستخفاف ، هو حلاقه او على الاقل ، هذا ما قاله الحلاق نفسه « مستر هارفي » في حديث نشرته له مؤخراً احدى المجلات البريطانية .

وكان هارفي قد تعرف الى برنارد شو ، وهو مجرد عامل بسيط في صالون مجهول . ثم استقل العامل بعد ذلك بصالون خاص في منطقة اخرى من لندن .. ولم يقابله شو الا مصادفة بعد عامين في احد المتاجر الكبرى .

ويقول هارفي ان شو عرفه على الفور ، ووعد بان يزوره في الصالون الجديد . ثم وفى بوعده ، واصبح صديقاً له . وحرص على هذه الصداقة الى حد انه ظل – حتى اخر ايامه – يتنقل وراءه من صالون الى اخر .. .

وكان بعض هذه الصالونات يقع في ضواح بعيدة جدا قد يستغرق الوصول اليها بالسيارة اكثر من ساعة ونصف ساعة .

واما سبب ذلك ؟ فلا احد يدري ! المهم ان المستر هارفي كان يروق برناود شو . وكان برنارد شو يحترمه اكثر مما يحترم شكسبير ، ويقول له انه ارجح عقلا من ثلاثة ارباع المفكرين في انكلترا !

ولما كان هارفي قد اتهم في وقت من الاوقات بانه يبيع خصلات شعر شو للمعجبين ، باسعار فاحشة ، فقد اكد في حديثه هذا ان التهمة كاذبة ، وانه كاد يقاضي الصحف التي اذاعتها .

واضاف انه لم يعط احدا اي خصلة من شعر شو ، الا مرة واحدة ، عندما طلبت اليه ذلك ، سيدة لا يعرفها ، فأرسل اليها الخصلة بالبريد ... وبلا ثمن .

وقال هارفي انه عندما زاره برنارد شو بعد ذلك ، وعرف ما حدث ، اشرق وجهه وسأل : – مستر هارفي ، هل لشعري قيمة خاصة لسبب من الاسباب ؟ فاجابه الحلاق مخيباً امله : – كلا يا مستر شو ! انه اقل جودة من شعر الانسان العادي ... لانه رمادي اكثر مما يجب ، واطرافه دقيقة جداً . فابتأس شو ، وتنهد قائلا : – خسارة ! كان يروقني ان ابيعه !




٢٨ يوليو١٩٥٣ – قدم السيد دوجاسبيري رئيس الوزارة الايطالية الجديدة استقالته

٣٠ – اكتشفت السلطات التركية مؤامرة غايتها قلب نظام الحكم الجمهوري واعادة السلطنة

٣١ – قدم الاتحاد السوفياتي مذكرة احتجاج الى الولايات المتحدة على قيام طائرة مقاتلة اميركية بالتحليق فوق اراضي الاتحاد السوفياتي وخرقها الحدود من جهة فلاديفوستوك وعندما تصدت لها قانصتان اطلقت عليها النار فاصيبت احداهما .

– قدمت الولايات المتحدة مذكرة احتجاج شديدة اللهجة الى الاتحاد السوفياتي على اسقاط الطائرات الروسية لطائرة اميركية من القلاع الطائرة على بعد ٦٤ كيلومترا من الساحل الشرقي لسيبريا . بينما كانت تقوم برحلة تدريبية

اول اغسطس ١٩٥٣ – قدم الاتحاد السوفياتي مذكرة احتجاج جديدة لان طائرة نقل سوفياتية قد اسقطتها القانصات الاميركية في منطقة سوركين .

– اعلنت امريكا انها رفضت مذكرة الاحتجاج السوفياتية لان الطائرة السوفياتية كانت في منطقة الحرب بكوريا

٣ – وصل الى كيسونغ في كوريا طلائع اسرى الحلفاء استعدادا لتبادل الاسرى الذي يبدأ في الخامس من الشهر كما اتم الحلفاء من جهتهم حشد الاسرى واتخذوا التدابير بتسليم ٢٤٠٠ اسير يوميا .

– اعلنت الاوساط الفرنسية في هانوي ان القتال قد استمر مرة اخرى في ولاية لاووس التي غزاها جيش الثوار التابع للجنرال هوشي منه في الربيع الماضي .

٥ – بعثت الحكومة السوفياتية بمذكرات الى الدول الغربية اعربت فيها عن رغبتها في عقد مؤتمر لوزراء خارجية الدول الكبرى تبحث فيه الوسائل المؤدية الى تخفيض حدة التوتر الدولي وقالت ان اشتراك الصين في المؤتمر اساسي

٧ – يقوم في فرنسا اكبر اضراب موظفين وعمال عرفته اوروبا منذ سنة ١٩٣٦ احتجاجاً على سياسة الحكومة الاقتصادية

– اعتقل في كوريا الشمالية ١٢ شخصية سياسية بتهمة القيام بمؤامرة لقلب نظام الحكم

٨ – القى مالنكوف رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي خطابا خطيرا في مجلس السوفيات الاعلى قال فيه : ان الولايات المتحدة لم تعد المحتكرة للقنبلة الهيدروجينية فالاتحاد السوفياتي قد اتقن الان انتاج هذه القنبلة وقال انه ليس للاتحاد السوفياتي اي مطالب اقليمي وبامكان جميع جيرانه العيش بسلام وقال انه يجب قبول الصين في الامم المتحدة .

١٠ – سلمت الحكومة الفرنسية ردها على مذكرة حكومة الكمبودج التي طلبت المزيد من الحكم الذاتي وستؤلف لجنة مشتركة لبحث وسائل نقل الصلاحيات على القضاء والجيش والطيران الى الحكومة الكمبودجية

١٢ – تطورت حركة الاضرابات في فرنسا وباتت تهدد الوزارة بالسقوط وقد شلت جميع المواصلات البرية والبحرية والجوية واضرب عمال المناجم والانارة والملبوسات وموظفو البريد وغيرهم .

١٣ – وقعت هزات ارضية عنيفة في جزر اليونان ما زالت تتكرر منذ يومين وقد اختفت بعض الجزر ودمرت عدة مدن وبلغ عدد القتلى الالف حتى الان .

١٤ – قدم السيد صائب سلام رئيس الحكومة اللبنانية استقالة وزارته بعد ان اجريت الانتخابات النيابية واجتمع مجلس النواب امس .

١٦ – قامت حركة عسكرية انقلابية بطهران وقد فشلت المحاولة والقت حكومة الدكتور مصدق القبض على المتآمرين وفر شاه ايران وقرينته الى بغداد .

– ألف الدكتور عبدالله اليافي الوزارة اللبنانية الجديدة .

١٧ – قدمت الحكومة السوفياتية الى الدول الغربية مذكرة تتناول القضايا العامة المتعلقة بتوحيد المانيا وتقترح المذكرة تأليف حكومة موقتة لالمانيا بشطريها ثم اجراء انتخابات حرة فيها وان تتوقف المانيا عن دفع تعويضات الاحتلال ابتداء من اول العام القادم .

١٨ – وصل الى جدة اللواء محمد نجيب رئيس جمهورية مصر في طريقه الى مكة لاداء فريضة الحج وقد استقبل استقبالا رسميا .

– وصل شاه ايران وقرينته الى ايطاليا وقد صرح بانه لم يتنازل عن العرش وبانه كان عزل الدكتور مصدق وعين الجنرال زاهدي رئيساً للحكومة ، التي يعتبرها الحكومة الشرعية . هذا بينما تقوم في ايران المظاهرات لتأييد الدكتور مصدق .

١٩ – قام الجنرال الزاهدي بانقلاب عسكري في ايران واستولى فيه على الحكم عنوة وقام المتظاهرون من مؤيدي الشاه باحراق بيت الدكتور مصدق الذي جرت امامه اشتباك مسلح بين الجنود المهاجمين والمدافعين فوقع مئات القتلى والوف الجرحى . وقد ارسل زاهدي يستدعي الشاه الى طهران فطلب هذا ان يحافظ على حياة مصدق وان لا يصاب بسوء .

٢٠ – اذاعت حكومة الاتحاد السوفياتي انها فجرت على سبيل التجربة نوعا من القنبلة الهيدروجينية .

– خلع السلطان محمد بن يوسف عن عرش مراكش ونفي الى جزيرة كورسكا وعين مكانه عمه محمد بن عرفه الثاني .

٢٢ – وصل شاه ايران الى طهران واذاع نداء الى الشعب من الراديو . وقد ثبت ان الدكتور مصدق لم يمس بسوء ولا يزال معتقلا

– صوت مجلس الشيوخ الايطالي على الثقة بحكومة الفنيين التي شكلها السنيور بيللا

٢٧ – انتهت زيارة وفد حكومة المانيا الشرقية الى موسكو واسفرت الابحاث عن اطلاق سراح الاسرى الالمان الذين لم يقترفوا جرائم ضد السلام وتنازل الاتحاد السوفياتي عن التعويضات الحربية المتوجبة على المانيا الشرقية ورفع البعثتين الدبلوماسيتين السوفياتية والمانية في برلين وموسكو الى سفارتين .

– انعقد في القاهرة مؤتمر رؤساء اركان حرب الجيوش العربية وسيبحث المؤتمر في طرق تطبيق ميثاق الضمان الجماعي العربي .

٢٧ – انعقد مجلس الامن الدولي في نيويورك امس واليوم للنظر في طلب الدول العربية والاسيوية لادراج القضية المراكشية في جدول الاعمال .